سورة النساء مدنية نزلت بعد الممتحنة آياتها مائة وس

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا!

(يا ايها الناس) عام لجميع نوع الانسان - وهو شامل للذكور والاناث - والخطاب يعم جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم حكمه في سلكهم من الموجودين من بعده الى يوم القيامة. فان الاجماع منعقد على ان آخر الأمة مكلف بما كلف اولها (اتقوا ربكم) اتقوا واحذروا عن تغيرات الدنيا حق تقاته بصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل او ترك او اجتناب الكبائر والمنكرات والمنهى عنها وكذلك الصغائر. وفي الحديث عن النعمان بن رضي الله عنه انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله تعالى محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب" رواه البخاري ومسلم. (الذي خلقكم من نفس واحدة) آدم (وخلق منها) من ضلعها (زوجها) حواء (وبث) فرق ونشر (منهما) من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة. (واتقوا الله) تكرير الامر لاجل بعض آخر من موجبات الامتثال. اتقوا يا ايها الناس واحذروا عن عموم ما يشغلكم عن سبحانه وتعالى مع قربه اليكم اذ هو الذي تتساءلون وتتناشدون بحوله وقوته. قال (الذي تساءلون به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله وانشدك بالله (والأرحام) واتقوا الارحام ان تقطعوها فان قطع الرحم من اكبر الكبائر. وصلة الارحام باب لكل خير فتحت في العمر وتبارك في الرزق. وقطعها سبب لكل شر ولذلك وصل تقوى الرحم بتقوى الله. وصلة الرحم تختلف باختلاف الناس فتارة يكون عادته مع رحمه الصلة بالاحسان وتارة بالخدمة وتارة بحسن العبارة وتارة بالمكاتبة وغير ذلك. ولا فرق في الرحم اي القريب بين الوارث وغيره - وقطع الرحم قطع ما الف القريب منه من سابق الوصلة والاحسان لغير عذر شرعي فلو كان لم يصل منه الى قريبه احسان ولا اساءة قط لم يفسق بذلك. وان قطعه بعد فعله لغير عذر كبيرة باتفاق الأئمة. (ان الله كان عليكم رقيبا) يرقب ويطالع ما تصنعون بارحامكم.

(١)
ونزل فى ولى يتيم طلب ماله فمنعه (وآتوا اليتامى) الصغار الآلى لاب (اموالهم) المحفوظة الموروثة من آبائهم اذا بلغوا (ولا تتبدلوا الخبيث) الحرام الردئ من اموالكم (بالطيب) الجيد من اموالهم (ولا تأكلوا) ولا تأخذوا وتضموا (اموالهم الى اموالكم) بأن تأخذوه كما تفعلون فى اخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردئ من اموالكم مكانه. يقول: ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب = ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم (انه كان حوبا) ذنبا (كبيرا) عظيما مسقطا للمروءة. قال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى: كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول: شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم الذى نهوا عنه.

نزلت هذه الاية فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه. فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الاية. فلما سمعها العم قال اطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير، ودفع الى اليتيم ماله. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: من يوق شح نفسه ويطع ربه لهكذا فانه يحل داره يعنى جنته، فلما قبض الصبى ماله انفقه فى سبيل الله. — عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انا وكافل اليتيم فى الجنة لهكذا» - واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. رواه البخارى.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله، وكنت انا وهو فى الجنة اخوانا كما ان هاتين اختان» - والصق السبابة والوسطى. رواه ابن ماجه.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه ادخله الله الجنة البتة (٢) الا ان يعمل ذنبا لا يغفر» رواه الترمذى. ج ٢ ص

(١) الآلى: بضم الهمزة اسم موصول جمع الذى ويجمع ايضا على الذين. (٢) البتة منصوب على المصدر ومعناه القطع واليقين

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۳ وَ
نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ۴

عن عائشة رضى الله عنها: ان رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق نخل وكانت شريكته فيه وفى
ماله فكان يمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت «وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى» الاية
اخرجه الخمسة الا الترمذى. وفى رواية هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها
ويريد ان ينقص صداقها. فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا بنكاح
من سواهن. قال: (وان خفتم) ايها الاولياء والاوصياء (ان لا تقسطوا) ولا تعدلوا (فى) حق
اعراض (اليتامى) اليتامى يقال للاناث والذكور وهو جمع يتيمة ويتيم. واما ايتام جمع يتيم لا غير
وهن اللاتى لهن مال وجمال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) غيرهن لدفع هذه الذريعة (مثنى
وثلاث ورباع). الاية ليس فيها ما يمنع الزيادة على الاربعة. ولم يكن ذلك مانعا من التمتع بغير
الاربعة - واباحة الشيء لا تقتضى منع سواه، ولكن السنة والاجماع هما اللذان عينا الاربع -
الا ترى الى ما روى عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية
فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله ان يختار منهن اربعا. الى غير ذلك. (فان خفتم الا تعدلوا)
بالنفقة والقسم بين المتعددين النساء (فواحدة) فانكحوا منهن واحدة لتامنوا من الفتنة
وتكفيكم لغرضكم. (او ما ملكت ايمانكم) من الاماء (ذلك) اى نكاح الواحدة (ادنى)
من تتبع الازواج الى (الا تعولوا) وتجوروا - الحديث -: عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه
ساقط» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين. (وآتوا) واعطوا (النساء صدقاتهن) جمع صدقة
بضم الصاد والدال لغة الحجاز - اى مهورهن (نحلة) عطية حسنة عن طيب نفس - سلموها
اليهن بلا مطل وتسويف (فان طبن) وهبن عن طيب نفس (لكم عن شيء) منه من الصداق
(نفسا) رغبة ورضا لا كرها واستحياء (فكلوه) فخذوه حلالا - وانفقوه (هنيئا) طيبا (مريئا)
سائغا. محمود العاقبة لا ضرر عليكم فى الاخرة - الحديث -: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «استحلوا فروج النساء باطيب اموالكم». رواه
ابو داود. اتفق العلماء على ان الصداق شرط من شروط الصحة. وانه لا يجوز التواطؤ على تركه.

(ولا تؤتوا) ايها الاولياء والاباء والاوصياء (السفهاء) المبذرين الذين تحت وصايتكم من الرجال والنساء والصبيان (اموالكم) التي تملكونها لانفسكم واموالهم التي في ايديكم (التي جعل الله لكم قياما) قرأ نافع وابن عامر قيما. والباقون قياما - تقومون بها صلاح معاشكم واودكم فيضيعونها في غير وجهها - نهى الله تعالى عن ايتاء المسرفين اموالهم وهم من السفهاء من النساء والاطفال واليتامى قبل بلوغ سن الرشد وحسن التصرف سواء كانوا من اصلابكم او ماينتمي اليكم - فاذا اتفق او اتى ماله للمسرفين كان هو المسرف في ماله وحسبك في الاسراف قوله تعالى: «ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين». ويكفي للعاقل ما يروى عن ابي برزة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع، عن عمره فيما افناه وعن علمه ماعمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه». خرجه الترمذي. وعن ابي موسى قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة يدعون الله عزوجل فلا يستجاب لهم رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ورجل اتى سفيها ماله، وقد قال الله تعالى: «ولا تؤتوا السفهاء اموالكم». رواه الحاكم - صحيح. والسفه ضعف العقل وخفته وسخافته وضده الرشد وهو قوة العقل وبلوغه كماله واكثر السفه طبيعي ولهذا عسر الزوال جدا. فلذلك نهى الشارع عن ايتاء المال وامرهم بحجره فمال اكثر الفقهاء الى وجوب حجر السفيه المسرف مع انه اهدار للادمية والحاق بالحيوانية العجمية والجمادات. ثم قال: (وارزقوهم) واطعموهم (فيها واكسوهم منها. انه ينبغي للولي ان يتجر لموليه في ماله ويربحه له حتى تكون نفقته عليه من الربح لا من اصل المال. فالمعنى: واجعلوها مكانا لارزقهم وكسوتهم (وقولوا لهم قولا معروفا) مستحسنا عقلا وشرعا تطيبا لخواطرهم كان يقول الولي لليتيم: مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك. هذا يدل على ان المال ليس مذموما لذاته في دين الله ولا مبغضا عنده تعالى على الاطلاق. كيف وقد شرع لنا الكسب الحلال وحثنا الى حفظ المال وعدم تضييعه والى اختيار الطرق النافعة في انفاقه: ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما - تقوم وتثبت بها منافعكم ومصالحكم. وفي الحديث: «نعما المال الصالح للمرء الصالح» رواه احمد من حديث عمرو بن العاص صحيح.

وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله

ان رضاعة مات وترك ابنه نابتا وهو صغير، فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم.
وقال: ان ابنى اخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله؟ فانزل الله هذه الاية.
(وابتلوا اليتامى) ايها الاولياء قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين وحسن ضبط المال والتعرف
(حتى اذا بلغوا النكاح) واهلاله بان يحتلم او يبلغ خمس عشرة عند الشافعية وثمان عشرة سنة
عند ابى حنيفة وقد يصلح للنكاح (فان انستم منهم رشدا) وابصرتم منهم تدبيرا للتعرف الشرعية
فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير. فلا يجوز ان يدفع لهم اموالهم قبل الرشد. وقال ابو حنيفة
اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال دفع اليه المال والم يؤنس
منه الرشد. فى هذه الاية تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها
على الاطلاق. والنهى عنه عند كون اصحابها سفهاء. اى اختبروا قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح
الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التعرف فيه فان استقام ذلك فادفعوا اليهم اموالهم. لقد
رأى الشافعى رضى الله عنه ان تصرف الصبى قبل البلوغ ولو مميزا باذن وليه غير صحيح وصححه ابو حنيفة
(ولا تأكلوها اسرافا) بغير حق. ونقل عن ابن عباس انه قال: كان الاولياء يستقبحون اكل مال اليتيم
لئلا يكبر فينتزع المال منهم (وبدارا) مبادرين فى اكلها وانفاقها خوف (ان يكبروا) من باب تعب
يتعب - اى ولا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم مفرطين فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا (ومن كان) من الاولياء (غنيا فليستعفف) ويعف عن مال
اليتيم ويمتنع من اكله والتعفف منها خير له فى دنياه واخرته (ومن كان) منكم (فقيرا) ذا عسر
(فليأكل) منها (بالمعروف) المستحسن شرعا بقدر اجرة عمله ان تعطل عليه كسبه بسبب شغله فى مال
اليتيم. وللعلماء فى هذا المقام ثلاثة اقوال: فمنهم من منع اخذ شئ من مال اليتيم فقيرا كان او غنيا.
ومنهم من قال: يأخذ بقدر اجره بالمعروف ان احتاج. ومنهم من قال: ان احتاج يقترض ثم يرده اذا ايسر
واذا اعسر فلا شئ عليه. (فاذا دفعتم اليهم) بعد ما انستم الرشد (فاشهدوا عليهم) بانهم قبضوها
فانه انفى من التهمة لئلا يقع اختلاف فترجعوا الى البينة عند الشافعى ومالك. خلافا لابى حنيفة
لانه امر ارشاد عنده (وكفى بالله حسيبا) محاسبا ومجازيا وحافظا لاعمال خلقه.

لما امر الله سبحانه اولاً عباده بالتقوى على وجه المبالغة وقرن عليها حفظ الارحام ومراعاة الايتام ومواساة السفهاء المنحطين عن درجة العقلاء اراد ان يبين احوال المواريث والمتوارثين حتى لا يقع التظالم والتغالب ورد ما كان عليه الجاهلية الاولى من عدم توريث النساء والصغار (للرجال) الاولاد والاقرباء (نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) المتوفون (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه) من المال (او كثر) جعله الله (نصيبا مفروضا) مقدورا مقطوعا بتسليمه اليهم.

روى ان اوس بن ثابت الانصاري رضي الله عنه توفي وترك امرأته ام كحة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه وهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته والابنات شيئا وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير ذكرا وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة. فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الغضيخ (موضع بالمدينة) فشكت اليه وقالت: يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا، وهو عند سويد وعرفجة (عرفطة) لم يعطياني ولا بناته شيئا وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين. فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالا: يا رسول الله، اولادها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا. فنزلت هذه الاية "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا"، فاثبت لهن الميراث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقربا من مال اوس شيئا فان الله جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن. فانزل الله تعالى "يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين"، فاعطى صلى الله عليه وسلم ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم. والمعنى والله اعلم: للرجال سواء كانوا بالغين ام لا عقلاء ام سفهاء وللنساء كذلك نصيب حظ مفروض من مقدر مما ترك الوالدان والاقربون المتوفون والمراد المتوارثون بالقرابة مما قل من المال او كثر جعله الله نصيبا مفروضا مقطوعا بتسليمه اليهم. حيث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه بالاعراض بل يقادى

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

لما كانت آية الميراث تمنع كثيرا من قرابة الميت وغيرهم فلا شئ لهم فى الميراث - وكان الاسلام هو الذى جاء بنشر المعروف والفضل بين الناس كما ذكر فى اول السورة من اتحاد الناس وتعاونهم، نزلت الآية الحاضة على اعطاء من لم تعطه آيات الميراث الآتية تعميما للفضل واصلاحا للمجموع (واذا حضر القسمة) اى وقتها للميراث (اولو القربى) ممن لا يرث لكونه حاصبا محجوبا او لكونه من الارحام المدلين (واليتامى) الذين لا مال لهم ولا متعهد (والمساكين) الفاقدين وجه المعاش (فارزقوهم) واعطوهم ايها الوارثون (منه) من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة قبل القسمة . هذا خطاب للورثة الكاملين (وقولوا) ايها الاولياء (لهم) اذا كان الورثة صغارا (قولا معروفا) جميلا بان تعتذروا اليهم انكم لا تملكونه وانه لصغار . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: « واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » قال: هى محكمة. وليست بمنسوخة فان ناسا يزعمون انها نسخت ولا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس هما واليان وال يرث وذلك الذى يرزق ووال لا يرث وذلك الذى يقول بالمعروف ويقول: لا املك لك ان اعطيك . اخرجه البخارى.

وعن ابن عباس واجب . وعلى الوجوب مذهب ابى موسى الاشعرى وابراهيم النخعى والشعبى والزهرى ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير فهؤلاء يعطون من حضر من التركة . وروى ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يترك فى الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية . قال الفخر الرازى : فهذا تفصيل قول من قال بان هذا الحكم ثبت على سبيل الوجوب . اما المذهب المتعارف بين الفقهاء فليس فيه الا الندب للورثة الكبار اما الورثة الصغار فيكتفى بقول المعروف عنهم . وعلى الوجوب روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية . وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالى . وهذا القول وان لم يكن معمولا به عند اكثر الفقهاء هو الاحرى بهذه الامة اليوم رجوعا بالاحكام بظواهر القرآن والى آراء الصحابة والتابعين وهم اعلم بالقرآن . والمسلمون اليوم احوج لاتباع ظواهر الكتاب ، ولكن تهاون الناس فى تركه . جواهر ج ١٦ .

مِن خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيهِم فَليَتَّقُوا اللَّهَ وَليَقُولُوا
قَولًا سَدِيدًا ۝ ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَىٰ ظُلمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا وَسَيَصلَونَ
سَعِيرًا ۝ ١٠

لما فرغ من الكلام فيمن حضر القسمة رجع الى الكلام فى اليتامى فحذر اوصياءهم قائلا (وليخش) وليخف الله من حلول غضبه الاولياء (الذين لو) ماتوا و(تركوا) عند قاربوا ان يتركوا (من خلفهم) بعد موتهم (ذرية ضعافا) اولادا صغارا بالاموال ومتعهد (خافوا عليهم) الضياع، فكيف لا يخافون على هؤلاء الضعاف الضياع بل المؤمن لابد ان يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه بل اولى منه. (فليتقوا الله) فى امر اليتامى وليأتوا اليهم ما يحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم. وليفعلوا باولاد غيرهم ما يفعلون باولادهم من البر والشفقة والرعاية وحفظ الاموال والتربية الصادقة وتعليمهم العلم وادخالهم المدارس او تعليمهم الصنائع لاصلاح معاشهم ومعايشهم بعده. هذا هو الواجب عليهم. (وليقولوا) اى الاولياء والاوصياء (قولا سديدا) صوابا سويا مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والتعليم مع الاخلاص لمحض طلب العلم لا للرياسة والوظيفة. وذلك لان الخطاب فى قوله وليخش لاولياء اليتامى على سبيل الالتفات من الافراد الى الجمع. وبعضهم جعل الخطاب لمن حضر المريض: اى ليقل الحاضرون للمريض عند الايصاء ان يضيع ورثته من بعده ولا يتصدق باكثر من الثلث. وفى الصحيحين وغيرهما: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس. وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل فى امرأتك» صحيح عن سعد. ثم قال توبيخا لمن اكل مال اليتيم ظلما (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين لهم بغير وجه (انما يأكلون فى بطونهم نارا) مايجر الى النار. عن ابى بردة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «بعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا. فقيل من هم. قال: الم تر ان الله يقول: ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا» (وسيصلون) ويدخلون (سعيرا) نارا موقدة مسعرة

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ۚ فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ۖ وان كانت واحدة فلها النصف ۚ ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ۚ فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث ۚ فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين ۗ آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ۚ فريضة من الله ۗ ان الله كان عليما حكيما ﴿١١﴾

ثم اخذ يبين اصحاب الفروض وتفصيل احكام المواريث المجملة في قوله "للرجال نصيب الخ" (يوصيكم) يأمركم ويعهد اليكم (الله في) شأن ميراث (اولادكم للذكر) منهم (مثل حظ الانثيين) يعني كل واحد بالانثيين حيث اجتمع الصنفان اي اذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولها النصف. (فان كن نساء) خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) - وفوق صلة - والمراد اثنتين فما فوق بدليل قوله في الجزاء (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم. مع عدم وجود الذكر معهن - اي والاثنان كذلك لان الاختين يعطيان الثلثين وهن اولى لأسدية القرابة (وان كانت) البنت المتروكة (واحدة) قرأ نافع واحدةً بالرفع على ان كان تامة، والنصب اوفق (فلها النصف) نصف المال. ثم شرع في ذكر ارث الاصول (ولابويه) اي لابوي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) المتوفى - اي من التركة (ان كان له) اي للميت (ولد) ذكرا او انثى. والحق بالولد ولد الابن عند عدم الولد وبالاب الجد كذلك. ولكن الاب او الجد يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض بالتعصيب. (فان لم يكن له) للمتوفى (ولد وورثه ابواه) اي امه وابوه وليس له وارث سواهما (فلامه الثلث) اي ثلث المال. وللأب الباقي بالفرض والتعصيب، فيكون اذن للذكر مثل حظ الانثيين. فان كان معهما احد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج احد الزوجين، والباقي للاب. بالفرض والتعصيب. فللام سهم مما يبقى بالفرض وللاب سهمان سهم بالفرض وسهم بالتعصيب. - قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة: فلإمّه لمجاورة الكسرة او الياء التي قبل الهمزة. ومثل في بطون امهاتكم - بيوت امهاتكم. الخ. حكاه سيبويه لغة عن العرب. ونسبها الكسائي والفراء الى هوازن وهذيل. صح. (فان كان له) للميت (اخوة) ذكورا واناثا (فلامه السدس) والباقي للاب ولا شيء للاخوة. فقد حجبوا الام مع حجبهم بالاب وهذا دليل حسنهم. وذلك (من بعد) امضاء (وصية يوصى بها) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الصاد وبها في محل رفع نائب الفاعل (او دين) اي قضائه. (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم) في الدنيا والآخرة (فريضة من الله) افترضها عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) في قسمة الميراث.

وقضاء الدين مقدم على الوصية كما قال صلى الله عليه وسلم: "الدين قبل الوصية وليس لوارث وصية" رواه البيهقي عن علي - صحيح.

لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين
كم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
ان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس
فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية
من الله والله عليم حليم ١٣ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ١٣ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين ١٤

(ولكم) ايها الازواج (نصف ما ترك ازواجكم) اى زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) منكم او من غيركم او ولد ابن
(فان كان لهن ولد) او ولد ابن منكم او من غيركم (فلكم الربع مما تركن) من الميراث. وذلك (من بعد وصية
يوصين بها) ازواجكم (او دين) عليهن. (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد. فان كان لكم ولد)
سواء كان منهن او من سواهن (فلهن الثمن مما تركتم) من التركة يأخذنه سواء كن اربعة
او دون ذلك (من بعد وصية توصون بها او دين) فيقضى اولا الدين ثم تنفذ الوصية ثم يقسم
الميراث. فللرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة. (وان كان رجل يورث كلالة) وهو من لا يخلف والدا ولا ولدا
(او امرأة) كذلك تورث كلالة (وله) اى للرجل او المرأة (اخ او اخت) من الام. وقرأ ابن مسعود وابي
وغيرهما «وله اخ او اخت من ام» والقراءة شاذة. واطلق الشافعي الاحتجاج بها فيما حكاه البويطي. كحبر
الاحاد. (فلكل واحد منهما السدس) مما ترك (فان كانوا) اى الاخوة والاخوات من الام (اكثر من ذلك فهم
شركاء في الثلث) يستوى فيه الذكر والانثى (من بعد وصية يوصى بها او دين) والحكم كما مر. وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحفص بفتح الصاد. على البناء للمفعول وبها في محل رفع نائب الفاعل. والباقون بالكسر.
(غير مضار) على الورثة بان يوصى باكثر من الثلث. لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد
بن ابي وقاص قال: «الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس» اخرجاه في الصحيحين. فالوصية باكثر من الثلث لا يجوز. ويجعل النقص منه. او اقرار بدين
بدين لا يلزمه (وصية) صادرة (من الله) فلا تتعدوا احكامه (والله عليم) بالضار وغيره (حليم)
لا يعاجل بعقوبته. (تلك) الاحكام المذكورة من امر اليتامى وما بعده (حدود الله) وشريعته لتعملوا بها ولا تقربوها
(ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله) الله (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك هو
الفوز العظيم - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله) الله (نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) اشد اهانة.

(١) راجع - الوصية - التربية والتعليم: . والاحاديث:

وَالّٰتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً
فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَفّٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ وَالَّ
فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا

(واللاتي يأتين الفاحشة) الفعلة القبيحة التي هي الزنا (من نسائكم) أيها المؤمنون - وفي حكمكم ونكاحكم فاحبستم بها فلا تباشروا الى رميها ورجمها (فاستشهدوا) واطلبوا ممن قذفهن ليشهدوا (عليهن اربعة منكم) اى من رجالكم المسلمين (فان شهدوا) عليهن بإتيانها (فأمسكوهن) فاحبسوهن (في البيوت) واحجروهن وامنعوهن من مخالطة الناس بعد ان اقمتم الحد عليهن كيلا يجري ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال. لان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز الى الرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا. اتركوهن فيها (حتى يتوفاهن الموت) اى ملائكة الموت. او يجعل الله) اى الى ان يحكم الله لهن سبيلا) طريقا الى الخروج منها وحكما في حقهن بان يتزوجن فيستغنين عن السفاح. هذا في بدء الاسلام، يدل على ان امساكهن في البيوت ممتد الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا - وذلك السبيل كان مجملا اول الاسلام ثم جاء الحديث ببيانا لتلك الاية بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة. قال صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني خذوا قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» اخرجه مسلم ابن ماجه عن عبادة الصامت - ص. (واللذان يأتيانها) اى الفاحشة يعني الزنا واللواطة (التي هي الخنث من الزنا (منكم) اى الرجال (فآذوهما) بالسب والضرب بالنعال والتوبيخ والتقريع (فان تابا) منها (واصلحا) العمل (فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء - واعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) به علة الامر بالاعراض وترك المذمة والستر بعد الفضيحة. وهذا منسوخ بالحد ان اريد بها الزنا. وكذا ان اريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب - وارادة اللواط اظهر بدليل تثنية الضمير - في واللذان يأتيانها منكم فآذوهما. الخ. وانما قرر الحبس في الآية للمرأة لانها لا تكون الفاحشة منها الا اذا كانت خارجة السجن. فاما الرجل فلا يحبس لانه يتهم بامور المعاش. - تنبيه. الزنا اكبر الكبائر بعد القتل اجماعا. وقيل هو اكبر من القتل فهو الذي يلي الشرك. والخنث انواعه الزنا بحليلة الجار ويكفي مستحله ومن ثمة ان لا يحد.

...ي يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب
...ما حكيما ١٧ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
... الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ١٨

(انما التوبة) المكتوبة قبولها (على الله) بفضله بمقتضى وعده (للذين يعملون السوء) المعصية (بجهالة) اى جاهلين حال - اذ عصوا ربهم (ثم يتوبون من) زمن (قريب) اى قبل حضور الموت وقبل ان يغرغروا (فأولئك يتوب الله عليهم) ويقبل توبتهم (وكان الله عليما) باخلاصهم فى التوبة (حكيما) لايعاقب التائب. (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الذنوب فى مدة اعمارهم مستوفين التوبة فيها (حتى اذا حضر احدهم الموت) واخذ فى النزع (قال) بعد ما أيس من الحياة وابصر امارات الموت من نفسه: (انى تبت الآن)، فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (ولا الذين يموتون وهم كفار) فيه تسوية من لم يتب حتى يغرغر بمن يموت كافرا - فى ان كلا منهما لا يقبل بتوبة تغليظا على من أخر التوبة وتشديدا عليه حتى جعل كمن يموتون وهم كفار اذا تابوا فى الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم. اقسام الكافرين.

بين الله فى هاتين الآيتين اقسام الكافرين: القسم الاول من يتوبون توبة مقبولة قبل ان يغرغروا وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم. اى قبل حضور الموت. - وفى الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل ان يغرغر قبل الله توبته» رواه الحاكم. او تاب من قريب اى بقرب زمن ارتكابه للمعصية. وعند الطبرانى - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صاحب اليمين امين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك ست ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه سيئة واحدة» ورواه البيهقى عن ابى امامة - صح. - والقسم الثانى من يتوبون توبة غير مقبولة وهم الهازئون بالدين الذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن، لا تقبل توبتهم اما لفساد حال نفسها - واما لانها توبة عن بعض اعمال الكفر مع البقاء عليه - والقسم الثالث الذين يقيمون على الكفر واعماله حتى يدركهم الموت وهم كفار «فلن تقبل توبتهم اذا تابوا فى الآخرة» قال عز وجل: (أولئك) الذين يعملون السيئات والذين يموتون وهم كفار (أعتدنا) اعددنا اى احضرنا وهيأنا (لهم عذابا اليما) مؤلما. - يعنى اولئك المسوفون المتصفون فى امر التوبة قد اعتدنا لهم وهيأنا لاجلهم فى الآخرة عذابا اليما

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

هذه الاية نزلت في اهل المدينة.. وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره. فان شاء تزوجها من غير صداق انكالا على الصداق الاول الذي دفعه قريبه. وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها ولم يعطها منه شيئا. وان شاء عضلها ومنعها الزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها. وهذا كله اذا لم تبادر المرأة بالذهاب الى اهلها. فان ذهبت الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها. وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري. وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن. وقيل اسمه قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي. فقال: اقعدي في بيتك حتى يأتي امر الله فيك. فانزل الله هذه الاية: اخرجه ابن جرير. (يا ايها الذين امنوا) بالله ورسوله (لا يحل لكم) في شرعكم ودينكم (ان ترثوا النساء) اي نساء اقاربكم وموريثكم (كرها) اي مكرهين على ذلك (ولا) يحل لكم ان (تعضلوهن) تمنعوهن من التزوج (لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن) من المهر، كانه كان الرجل يكره امرأته ولها عليه مهر فيسيئ عشرتها لتفتدي منه وترد ما ساقه لها من المهر - وكما من كانت له زوجة ولا يمسكها ويضيق عليها ضرارا (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) كزنا ونشوز وعدم التعفف او سوء عشرة فعند ذلك يجوز لكم ان تعضلوهن حتى يفتدين منكم. (وعاشروهن بالمعروف) بعاشرة حسنة عقلا وشرعا بحسن القول وتوسيع النفقة والمبيت ويتصنع لها كما تتصنع له. قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ما اكرم النساء الا كريم ولا اهانهن الا لئيم» رواه ابن عساكر عن علي - صحيح. (فان كرهتموهن) فاصبروا (فعسى ان تكرهوا شيئا) بمقتضى طبعكم وانتم لا تعلمون حقيقة امره. (ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) نافعا لكم ولغيركم - كأن تعطفوا منها ولدا صالحا.

... مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا
... بهتانا ... وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض واخذن
منكم ميثاقا غليظا

(وان اردتم استبدال زوج) منكوحة جديدة (مكان زوج) قديمة اى تطليق امراة
وتزوج اخرى بدلها. فعليكم فى [illegible] ان لا تاخذوا من المطلقة شيئا (وآتيتم) واعطيتم
حالة العقد او النكاح (احداهن) اى الزوجات (قنطارا) مالا كثيرا اى صداقا عظيما (فلا
تاخذوا منه) من القنطار (شيئا) قليلا نزرا يسيرا حين الطلاق فكيف بالكثير (اتاخذونه
بهتانا) ظلما [illegible] بالبهتان او بالظلم. والاصل فى البهتان الكذب بالمكابرة والمراد هنا الظلم.
ومعنى البهتان ان ترمى الرجل اى تستقبله بامر قبيح تعنفه به وهو برئ منه لانه
يبهته عند ذلك اى يتحير. (واثما مبينا) بينا عند الله شنيعا سمجا عند المؤمنين (وكيف
تاخذونه) باى وجه اى لا وجه ولا سبيل لكم فى اخذه (وقد افضى) وصل بالمهر والصداق
اى خلا بلا حائل (بعضكم الى بعض) بالجماع والملامسة. ثم اختلف المفسرون فى معنى الافضاء فى
هذه الاية: فقيل: انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومذهب الشافعى وقيل: انه كناية عن الخلوة وان
لم يجامع وهذا اختيار الفراء ومذهب ابى حنيفة. اه خازن. (واخذن) (قد اخذن منكم ميثاقا) غليظا شديدا
وعهدا حتما وهو ما امر الله به عليكم لاجلهن وبسببهن من امساكهن بالمعروف او تسريحهن باحسان. ومن
قول النبى صلى الله عليه وسلم: اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله [illegible] من المودة
استرداد ما اعطيتموهن شيئا فاياكم والرجوع فيه. ولا [illegible] الشهامة ارجاعه [illegible] ما كان بينكما من
الصفاء والمحبة والوفاء. ان هذا لشئ مبين، وظلم عظيم
وقد سمى الله تعالى رابطة الزوجية ميثاقا غليظا - فان ارتباط المرء بزوجه هو ارتباط وثيق
متين حتى يصعب حله على غير الابالسة والشياطين من اهل السحر والدهاء «فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء وزوجه» مثل الله به [illegible] مبلغ قدرتهم على التفريق بين الازواج، فلا رابطة
بينهم اوثق من الزواج. فليتأمل المكثرون من الطلاق [illegible] المعرضون لامر الله فى هذه الاية
الناسون لقوله صلى الله عليه وسلم: «ابغض الحلال الى الله الطلاق» حديث صحيح. لان الطلاق
من تقطيع الارحام وذلك مذموم لقوله تعالى: «فهل عسيتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا
ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم» فليتفكر المكثرون من الطلاق
بين المسلمين المهينون المحتقرون للمراة الناسون لقوله تعالى: «واخذن منكم ميثاقا غليظا»

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان
سبيلا ﴿٢٢﴾ حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وامهاتكم التي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نساءكم وربائبكم
التي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان
تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما ﴿٢٣﴾

شرح المولى في بيان من يحرم نكاحها من النساء (ولا تنكحوا ولا تجامعوا (ما) اى من (نكح) ووطئ
(اباؤكم من النساء) بنكاح او زنا عند المالكية (الا ما قد سلف) قبل التحريم (انه كان فاحشة) قبيحا
عند الله (ومقتا) سببا للذم عند اهل المروءات (وساء) وقبح (سبيلا) هذا الفعل (حرمت عليكم
امهاتكم) وكذا الجدات من الاب او الام (وبناتكم) وكذا بنات اولادكم (واخواتكم) لاب او لام (وعماتكم)
اخوات آبائكم (وخالاتكم) اخوات امهاتكم (وبنات الاخ وبنات الاخت من الاوجه الثلاث ويدخل
فيهن اولادهم. ـ فالمحرمات بالنسب سبع بنص الكتاب. (وامهاتكم التي ارضعنكم) ايضا
حرمت عليكم اى رضعتم منهن (واخواتكم من الرضاعة) واكتفى بالام والاخت عن ذكر غيرهما.
وجملة ما يحرم من النسب يحرم من الرضاع لقوله صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب» رواه الشيخان، وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان
الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب» (وامهات نسائكم) زوجاتكم من نسب او رضاع
بمجرد العقد دخل بها او لم يدخل. (وربائبكم) بنات زوجاتكم اللاتي من غيركم (اللاتي في حجوركم
تربونهن كما تربون اولادكم علة للتحريم لا شرط اى وكذا اذا لم تربوا (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن)
وجامعتموهن (فان لم تكونوا دخلتم بهن) بالنساء (فلا جناح عليكم) في نكاح بناتهن وفي صحيح الترمذي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ايما رجل نكح امرأة فدخل بها فلا يحل له نكاح ابنتها فان لم
يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امرأة فدخل بها او لم يدخل فلا يحل له نكاح امها» تاج التفاسير
(وحلائل ابنائكم) وكذا حرمت عليكم زوجات ابنائكم (الذين من اصلابكم) لا من تبنيتموهم.
فلو عقد الابن امرأة عقد صحيحا حرمت على اصوله بمجرد العقد. (وان تجمعوا بين الاختين)
بالنكاح في زمان واحد سواء كانتا من نسب او رضاع. وكذا بين المرأة وعمتها او خالتها او
بين العمتين والخالتين. فيجوز ان تنكح المرأة على عمتها وللعمة على بنت اخيها وللمرأة على خالتها
وللخالة على بنت اخيها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى. رواه الترمذي (الا ما قد
سلف) في زمن الجاهلية (ان الله كان غفورا رحيما) لكل من اطاع امره واجتنب نواهيه.

الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم
ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن
فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ٢٤

روى مسلم وابو داود والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى قال: اصبنا سبايا
من سبى اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن ولهن ازواج نسألنا النبى صلى الله
عليه وسلم فنزلت: (والمحصنات) اى وحرمت عليكم (من النساء) ذوات الازواج
اى تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن سواء كن حرائر مسلمات ام لا. (الا ما ملكت ايمانكم)
من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فيحل لكم بعد الاستبراء وطؤهن لانه لا حرمة
لذلك ان النكاح ارتفع بالسبى. وقال ابو حنيفة: لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم
تحل للسابى. واخرج الطبرانى عن ابن عباس قال: نزلت يوم حنين لما فتح الله حنينا اصاب
المسلمون نساء من نساء اهل الكتاب لهن ازواج وكان الرجل اذا اراد ان يأتى المرأة قالت:
ان لى زوجا. فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله "والمحصنات من النساء" الاية.
فاعلموا ان ذلك المحرمات قد صارت (كتاب الله) اى من جملة الامور التى اوجبها الله (عليكم) فيه تحريم
ذلك (واحل لكم ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة - وانما اصل ذلك الى (ان تبتغوا) تطلبوا
النساء (باموالكم) اى تنكحوهن بصداق (محصنين) متزوجين ومتعففين بهن وبغيركم (غير مسافحين)
مجتنبين الزنا (فما استمتعتم) فمن تمتعتم (به) بذلك المهر (منهن) ممن تزوجتم بهن (فاتوهن
اجورهن) مهورهن التى استمتعتم بها فروجهن (فريضة) صادرة من الله عليكم مقدرة من عنده
واجبة الاداء شرعا وعقلا. (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم) انتم وازواجكم به من الاخذ والترك
والزيادة والنقصان (من بعد الفريضة) التى قدرتم (ان الله كان عليما) بالمصالح لكم (حكيما فى شريعته.

— اعلم ان المحرمات نكاحهن مؤبدا ثلاث: ما يحرم بالنسب وهن سبع. وما يحرم بالرضاع وهو
ما يحرم بالنسب يحرم بالرضاع - وما يحرم بالمصاهرة وهو اربعة: زوجة الاب وزوجة
الابن وام الزوجة وبنت الزوجة. وكلها يحصل فيها التحريم بمجرد العقد وان لم يحصل
دخول الا الربيبة فلا تحرم الا بشرط الدخول بامها. والمحرمات من النساء من جهة الجمع خمس
واحدة منه بالقران وهى اخت الزوجة. واربع منها بالسنة وهى: عمتها - خالتها - بنت اخيها وبنت
اختها. سواء كن من نسب او رضاع. ومحل تحريمها ما دامت الزوجة فى عصمته.

استمتعتم

ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت
والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن
بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا
خير لكم والله غفور رحيم ٢٥ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم ٢٦ والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان
تميلوا ميلا عظيما ٢٧ يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ٢٨.

(ومن لم يستطع منكم طولا) يجد قدرة وغنى من الفضل والمال (ان ينكح المحصنات) يتزوج الحرائر (المؤمنات فمما ملكت ايمانكم) اى يتزوج (من فتياتكم المؤمنات) الاماء (والله اعلم بايمانكم) فيكفيكم ظاهر الايمان (بعضكم من بعض) انتم وهن من اولاد آدم والايمان جامعكم. (فانكحوهن باذن اهلهن) اى اربابهن (واتوهن اجورهن) مهورهن (بالمعروف) غير مطل ونقص (محصنات غير مسافحات) غير مجاهرات بزنا ولا متخذات اخدان) اخلاء يزنون بهن سرا. وكان الزنا في الجاهلية على قسمين سر وعلانية. فالسر ان يكون للمرأة خدن يزني بها سرا فلا تبذل نفسها لكل احد. والعلانية هو المراد بالسفاح. (فاذا احصن) بالتزويج (فان اتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) الحرائر (من العذاب) من الحد (ذلك) تزويج الامة (لمن خشى العنت) الزنا (منكم. وان تصبروا) عن نكاح الامة (خير لكم) من نكاحهن وان كان جائزا (والله غفور رحيم) لمن لم يصبر عن نكاح الامة. (يريد الله) بتعيين المحرمات وتبيين المحللات (ليبين لكم) شرائع دينكم ومصالح امركم (ويهديكم سنن) مناهج وطرائق (الذين من قبلكم) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين على سبيل الهداية والرشد (ويتوب عليكم) ويصدكم عن المعاصي ويسلك بكم سبيل رضاه (والله عليم حكيم) فيغفر لكم. (والله يريد ان يتوب عليكم) لتزكوا نفوسكم وتطهر قلوبكم وتصلح احوالكم. (ويريد الذين يتبعون الشهوات) وهم الزناة والدعارة والفسق (ان تميلوا) عن سبيل الهدى (ميلا عظيما) وتكونوا مثلهم فتتعوا فيما وقعوا فيه من المعاصي. (يريد الله ان يخفف عنكم) ويسهل عليكم احكام الشرع ولم يجعل عليكم في الدين من حرج كما قال صلى الله عليه وسلم: بعثت بالحنيفية السمحة من خالف سنتي فليس مني. اخرجه الخطيب عن جابر. (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات.

اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا
انفسكم ان
انفسكم ان الله كان بكم رحيما ٢٩ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك
على الله يسيرا ٣٠ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ٣١

لما كان غالب ما مضى من اول السورة مبنيا على الاموال فى معاملة اليتامى والاقارب والنساء تارة بالارث وتارة بالجعل فى النكاح ثم ذكر قاعدة عامة فى معاملة سائر الناس. قال: (يا ايها الذين آمنوا) بالله ورسوله (لا تأكلوا اموالكم بينكم) اى لا تأخذوا اموالكم بينكم. وخص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود من الاموال الاكل. ويدخل فيه اكل مال نفسه واكل مال غيره فاكل مال نفسه انفاقه فمعنى المواد لا تشاغلوا باموالكم معاملة فى ما بينكم (بالباطل) بما لا يحل فى الشرع. كانفاق مال نفسه فى المعاصى ومعاملته مع غيره بغير وجه شرعى كالربا والرشوة وخيانة احد الشريكين والقمار والسرقة والغصب وغصب الارض (الا ان تكون تجارة) صادرة (عن تراض) ظاهرا وباطنا (منكم) غير منهى عنه وخص التجارة بالذكر دون غيرها كالهبة والصدقة والوصية لان غالب التصرف فى الاموال بها ولانها افضل الكسب وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده» اخرجه احمد والطبرانى عن ابى بردة بن نيار. واخرج البيهقى عن معاذ: «ان الطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يطروا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا». (ولا تقتلوا انفسكم) لا تورطوها فيما يوجب الهلاك. ظاهره النهى عن قتل الانسان لنفسه وهو الانتحار وارتكاب ما يؤدى الى هلاك النفس فى الدنيا والاخرة. والمتبادر منها. لا يقتل بعضكم بعضا وهو الاقوى (ان الله كان بكم رحيما) فى تقديركم وخلقكم ورزقكم فارحموا انفسكم بعدم سلوكها طريق الخسران بالاسراف وضياع اموالكم او قتل انفسكم بالانتحار (ومن يفعل ذلك) اى ما يحذر من المهالك (عدوانا) عداوة لنفسه (وظلما) للنفوس (فسوف نصليه) ندخله (نارا. وكان ذلك على الله يسيرا) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اى الكبائر التى نهاكم الله عنها. وهى كبائر الذنوب التى توجب العقوبة العظيمة (نكفر عنكم) ونغفر لكم (سيئاتكم) وصغائركم. (وندخلكم مدخلا كريما) وهو الجنة. نهى الله سبحانه اكل الاموال بالباطل وعن قتل الانفس. ثم نهى عن جميع الكبائر ووعد على تركها بتكفير السيئات وبالجنة ومدخل الكرامة وليس التكفير مرتبا على الاجتناب وحده بل بالترك والعمل لحديث «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة مكفرات لما بينهن ورمضان الى رمضان اذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم والترمذى

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهٖ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ ؕ لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوْا ؕ وَسْـَٔلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهٖ ؕ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدٰنِ وَالْاَقْرَبُوْنَ ۫ وَالَّذِيْنَ عَقَدَتْ اَيْمَانُكُمْ فَاٰتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيْدًا ۝٣٣ .

روى الترمذى والحاكم عن ام سلمة انها قالت: يغزو الرجال ولا نغزو النساء وانما لنا نصف الميراث. فانزل الله: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. واخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال: اتت امرأة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبى الله للذكر مثل حظ الانثيين وشهادة امرأتين برجل افنحن فى العمل هكذا، ان عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فانزل الله: ولا تتمنوا. الاية. ولها روايات اخرى. (ولا تتمنوا) تمنى المتحسر المتأسف من الامور الدنيوية والدينية (ما فضل الله به بعضكم على بعض) كالجاه والمال والجمال والعبادة والعلم اى لا يوجب ذلك التحاسد والتباغض. (للرجال نصيب مما اكتسبوا) بعملهم الصالح (وللنساء نصيب مما اكتسبن) بعملهن الصالح. اذ كل ميسر لما خلق له. وعلى كل التوجه على مقصده. شرع الله الكسب للنساء كالرجال فارشدهن الى تحرى الفضل بالعمل لا بالتمنى والتشهى. وقما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من اجره لاشتراكهم فيه النساء. وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من اجره لاشتراكهن فيه الرجال. وليس لاحدهما ان يتمنى ما هو مختص بالاخر (واسألوا الله) واطلبوه (من فضله) ولا تتمنوا ما عند الناس وما يختص بغيركم من الخصيصة المكتسب له. وعند الترمذى عن ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم: «سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج». فاسألوا الله من فضله وخزائن نعمه لا نفاد لها ان يعطيكم ويسر لكم ما يعنيكم ويجنبكم عما لا يعنيكم. وهذه هى المغبطة. وهى ان تتمنى مثل ما عند الغير وتسعى له بالعمل لا بالتمنى والكسل فاياكم والحسد والتمارى فى الاعتراض على ما اعطى الله للناس. (ان الله بكل شئ عليما) يعلم مطالب العباد وما يليق بهم، فلا يجسد بعطفنا بعضا «وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» (ولكل) من مات من الرجال والنساء (جعلنا موالى) وراثا عصبة يعطون (مما ترك الوالدان والاقربون) من المال الذى اكتسبوا. (والذين عقدت ايمانكم) ايمانكم جمع يمين. وهم الحلفاء (فآتوهم) اعطوهم (نصيبهم) من الارث وهو السدس. كانوا يتوارثون بالمؤاخاة دون النسب والرحم. فلما نزلت «ولكل جعلنا نسخ ذلك. (ان الله على كل شئ شهيدا) انه رقيب عليكم.

بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات
قانتات حافظ
الله والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن
فان اطعنكم فلا تبغ
سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ٣٤ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ٣٥

نزلت هذه الاية في سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت امراته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها فانطلق بها ابوها الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له قد لطم كريمتي. فقال النبي: لتقتص من زوجها. فانصرفت مع ابيها لتقتص من زوجها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارجعوا لعل جبريل اتاني. فنزلت هذه الاية. فقال النبي: اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراده الله خير. فارن. (الرجال قوامون) بالمصالح والتدبير والتاديب (على النساء) يؤدبونهن ويأخذون على ايديهن ويمسكونهن عند ارادتهن منكروها كالخروج من المنزل • وذكر ان ذلك لهم بامرين احدهما قوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وحسن التدبير والدين. وغير ذلك. وثانيهما قوله (وبما انفقوا) على النساء (من اموالهم) وبان نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم. وهي الطعام والكسوة والمسكن. فهذه هي النفقة الشرعية. وهي لم تقدر بمقدار بحد وبل كل بالنسبة الى حاله واقتداره ١٢ ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله. ثم النساء قسمان مطيعا وعاصيات (فالصالحات قانتات) مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) يحفظن في غيبة ازواجهن ما يجب ان يحفظ في النفس والمال. فلا يخنهم في فراش ولا غيره. وفي الخبر ١٢ خير النساء من تسرك اذا ابصرت وتطيعك اذا امرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك. رواه الطبراني. (بما حفظ الله) حيث حثهن ورغبهن بالوعد ووفقهن لحفظ اسرار الزوج وللعفة. والقسم الثاني وهن العاصيات. قال (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وتركهن عن مطاوعة ازواجهن (فعظوهن) فوفوهن الله (واهجروهن) ان لم يتركن (في المضاجع) اعتزلوا فراشهن (واضربوهن) ضربا غير مبرح ان لم يتأثرن بالهجر ايضا (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اي لا تطلبوا طريقا للوصول الى ايذائهن بالفعل والقول. ولا تبحثوا عن مطاوي السرائر (وان خفتم) ايها الولاة والحكام (شقاق بينهما) خلافا بين الزوجين (فابعثوا حكما) عدلا (من اهله) اقارب الرجل (وحكما) عدلا (من اهلها) اقاربها. ولا يمنع ان يكون من الاجانب وارسال الحكمين من قبل الحاكم او من قبل الزوجين او من صالحي الامة. (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) وان لم يجدا طريقا للصلح يفرق بينهما (ان الله كان عليما) بالواقع (خبيرا) بفعل الحكمين

وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهٖ شَيْئًا وَّبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَّبِذِي الْ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّ
اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُوْرًا ۳۶

حت ايمانكم

كل ما تقدم من الاحكام كان خاصا بنظام القرابة والمصاهرة وحال البيوت التي تتكون منها الامة. ثم اراد ان ينبهنا الى بعض الحقوق العمومية مما يستحق العناية وحسن المعاملة: (واعبدوا الله) المتوحد في ذاته وصفاته ووجوده، بعبادته وتوحيده وحفظ الاحكام والعمل بها (ولا تشركوا به شيئا) من مصنوعاته اى لا تثبتوا الوجود والاثر لغيره (وبالوالدين احسانا) وبرا ولين الجانب والاحسان في معاملتهما يعرفه كل احد ولهو يختلف باختلاف احوال الناس وطبقاتهم. (وبذي القربى) ولهو اقرب الناس الى الانسان بعد الوالدين (واليتامى) الذين لا مستعهد لهم من الرجال بعقده الناصر ولهو الاب. وتكون تربيته ناقصة بالجهل او فساد الاخلاق فيسري الى اولاد الناس فساده، فلا تستطيع الام ان تربي ولدها اليتيم الا اذا كانت اتسعت معارفها. (والمساكين) الذين لا تنتظم احوالهم من كل حال فان اهمل امره الاغنياء كانوا بلاءً وويلا على الناس (والجار ذي القربى) اى الجار القريب منك في الجوار بحيث يقع التلاقي معهم كل يوم مرتين. او النسب او الدين. (والجار الجنب) اى الجار البعيد منك بحيث لا يتفق التلاقي الا بعد يوم او يومين او ثلاثة ايام. وهو الاجنبي لا قرابة بينك وبينه او من كان بعد المزار. الجوار ضرب من ضروب القرابة التي توجب حسن المعاملة والمساعدة وهي اما قرب بالنسب واما قرب المكان والسكنى. وقد يأنس الانسان بجاره القريب ما لا يأنس بنسيبه البعيد. فقد ثبت الامر بالاحسان في معاملة الجار غير المسلم كعيادته صلى الله عليه وسلم لولد جاره اليهودي. في الصحيح. (والصاحب بالجنب) الرفيق الذي معكم وفي جنبكم في السراء والضراء يصاحبكم ويعين عليكم في سفر وفي صناعة وتعلم. والقوم الاعلم من صاحبته وعرفته في امر حسن ولو وقتا قصيرا. (وابن السبيل) المنقطع في السفر المتباعد عن الاهل والوطن لمصلحة دينية مثل طلب العلم وصلة الرحم وغير ذلك. وابن السبيل هو السائح الرحالة لغرض صحيح غير محرم. (وما ملكت ايمانكم) من فتياتكم وفتياتكم. والحيوانات المنسوبة اليكم وعليكم. بين الله لنا ان لفتياتنا وفتياتنا حقا في الاحسان كسائر طبقات الناس. قال: (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا متعجبا بنفسه يمشي بين الناس خيلاء (فخورا) مفتخرا بفضله او ماله او نسبه او حسبه ويأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ومماليكه ولا يلتفت اليهم.

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

ن الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله واعتدنا للكافرين

عذابا مهينا ٣٧ والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ١

ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ٣٨ وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا

مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ٣٩ ان الله لا يظلم مثقال ذرة ٢ وان تك حسنة يضاعفها ويؤت

من لدنه اجرا عظيما ٤٠ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ٤١ يومئذ

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ٤٢ .

اخرج ابن حاتم عن سعيد ابن جبير قال: كان علماء بني اسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم فانزل الله - الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل. الاية. - وكان كردم بن زيد حليف كعب بن الاشرف واسامة ابن حبيب ونافع ونافع بن ابي نافع وغيرهم وهم ستة انفار، يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون ما يكون، فانزل الله فيهم - الذين يبخلون الى عليما. لهؤلاء المتكبرون التجار هم (الذين يبخلون) بما اعطاهم الله (ويأمرون الناس بالبخل) بعدم الانفاق في سبيل الله - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا» اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر صح. (ويكتمون ما اتاهم من فضله) من الاموال خوفا من اخراج الزكاة والصدقة ومن العلم وهم اليهود - يكتمون نعت محمد حسدا من انفسهم. ويجوز ان يجعل الكتمان عاما شاملا لما عدا العلم والمال من انواع الاحسان المامور به. فيشمل البخل بلين الكلام والقاء السلام والنصح في التعليم (واعتدنا) اعددنا وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) ذليلا. (و) من هؤلاء المتكبرين (الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) لا لامتثال امر الله وطلب رضاه (ولا يؤمنون بالله) بالتوحيد والاذعان له (ولا باليوم الاخر) انه يثاب فيه المحسن على الاخلاص (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا (فساء) فبئس (قرينا) له الشيطان.

(وماذا عليهم) المعرضين (لو امنوا بالله) وحده (واليوم الاخر) وثقوا بوعد الله (وانفقوا) في سبيل الله (مما رزقهم الله - وكان الله بهم عليما) فيجازي المحسنين على احسانهم. (ان الله لا يظلم مثقال) وزن (ذرة) نملة صغيرة او اقل منها (وان تك) تلك الذرة (حسنة يضاعفها) حسب فضله الى سبعمائة ضعف واكثر. (ويؤت من لدنه) من عنده مع مضاعفة العمل (اجرا عظيما) لا يحصره الا هو. (فكيف) يكون حال الناس (اذا جئنا من كل امة بشهيد) يوم الحساب (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد لانبيائهم وامتهم (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض. ولا يكتمون الله حديثا). بشهود جوارحهم عليهم.

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمس
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا

عبارة الخازن سبب نزول هذه الآية ماروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: صنع لنا
ابن عوف ... اسمه عبد الرحمن.. طعاما فدعانا فأكلنا واسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فأخذت منا
وحضرت الصلاة اى صلاة المغرب فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن
نعبد ما تعبدون. قال: فخلطت. فنزلت: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح. اهـ جمل. ورواه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه.
(يا ايها الذين امنوا لا تقربوا) لا تصلوا (الصلاة وانتم سكارى) اى فى حالة السكر من الشراب (حتى
تعلموا ما تقولون) حتى بمعنى الى متعلقة بفعل النهى والفعل بعدها منصوب بان مضمرة اى بان تصحوا
من سكركم (ولا جنبا) اى ولا تقربوا الصلاة حال كونكم مجنبين. والجنب الذى اصابته الجنابة.
وتحصل باحد امرين التقاء الختانين وانزال. النهى عن الصلاة فى حالة الجنابة (الا عابرى سبيل)
غير مجتازى طريق مسافرين معذورين بسبب السفر فالنهى خاص للمقيمين الذين ليسوا
معذورين بالسفر اما المعذورون المسافرون فلهم حال آخر وهو التيمم (حتى تغتسلوا) الخطاب
على الذين يقيمون الصلاة فى الحضر وهم جنب. هذا على ان المراد بالصلاة حقيقتها فى المسئلين.
وروى عن سعيد بن المسيب والضحاك وغيرهما ان المراد بالصلاة مواضعها. والمعنى والله اعلم:
لا تقربوا مواضع صلاتكم ومساجدكم وانتم سكارى بحيث لا تعلمون ما تقولون وما تفعلون من سواء كان سكر
شراب او سكر نوم حتى تفيقوا وتعلموا وايضا لا تقربوها فى حال كونكم مجنبين الا عابرى سبيل اى مجتازين فيها.
(وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه استعمال الماء (او على سفر) وانتم جنب او محدثون والشأن فيهما تعسر
استعمال الماء. (او جاء احد منكم من الغائط) الخارج من احد السبيلين «القبل والدبر» (او لامستم النساء)
ومعنى اللمس والمجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعى وقال الزهرى والاوزاعى والحق به
الجس بباطن البشر. وعن ابن عباس هو الجماع وعليه قول علي والحسن والثورى. (فلم تجدوا ماء)
ولم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع كالمفقود. (فتيمموا) واقصدوا (صعيدا طيبا) ترابا ظاهرا.
(وامسحوا) باليدين المغبرتين (بوجوهكم وايديكم) الى المرفقين. رخصة لكم عن الوضوء
والغسل (ان الله كان عفوا) بتيسير الامور (غفورا) لعباده ما يتحرجون فيه ان تابوا.

نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل ﴿٤٤﴾
والله اعلم بـ ن بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴿٤٥﴾ من الذين هادوا يحرفون الكلم
عن مواضعه ويقـ سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في
الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم
الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ﴿٤٦﴾

روى عن ابن عباس انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعابا. وقالا ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الاسلام وعابه فانزل الله فيه. (الم تر الى) اخبار اليهود وهم (الذين اوتوا) اعطوا (نصيبا) حظا يسيرا (من الكتاب) اى التوراة الجامع لجميع الكتب السالفة. (الذين يشترون الضلالة) ويختارونها على الهدى يتركون ما في التوراة ويأخذون بقول احبارهم باخذ الرشا واكلهم اموال الناس بالباطل. ومع ذلك لا يقتصرون على ذلك (ويريدون ان تضلوا) وتخطؤا (السبيل) اى سبيل الحق كما ضلوا كما قال تعالى: «ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء» ويريدون ان يسدوا ويظلموا عليكم السبيل الموصل الى زلال الهداية وسد باب العلوم الموصل الى طريق الحق لتكونوا مثلهم (والله) الرقيب عليكم (اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بهم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) حافظا يلي اموركم (وكفى بالله نصيرا) معينا لكم عليهم. ثم (من الذين هادوا) جماعة نسبوا الى اليهود (يحرفون) يغيرون (الكلم عن مواضعه) التي وضعها فيها ويؤولونه على ما يشتهون ويستبدلونها لفظا ومعنى مراءة ومجادلة (ويقولون سمعنا) لقولك (وعصينا) لامرك (واسمع غير مسمع) دعاء بمعنى لا سمعت. اى ونحن ندعو عليك بان تكون غير مسمع كلاما ترضاه. يقولون له: (وراعنا) وانظرنا وهو من الفاظ السب بلغتهم. وقد نهوا عن خطابه بها. قال تعالى: يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا» وما يقصدون بذلك الا (ليا) فتلا واعراضا (بالسنتهم وطعنا) وقدحا (في الدين) وسخرية في دين الاسلام القويم. (ولو انهم) كانوا من اهل الهداية (قالوا) حين دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام (سمعنا) قولك (واطعنا) امرك بدل وعصينا (واسمع) قولنا (وانظرنا) بدل وراعنا. اى انظر الينا بنظر الشفقة (لكان خيرا لهم) عند الله (واقوم) واعدل لديه (ولكن) لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم (لعنهم الله) وخذلهم وابعدهم عن الايمان (بكفرهم) بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم. كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار واصحابهما.

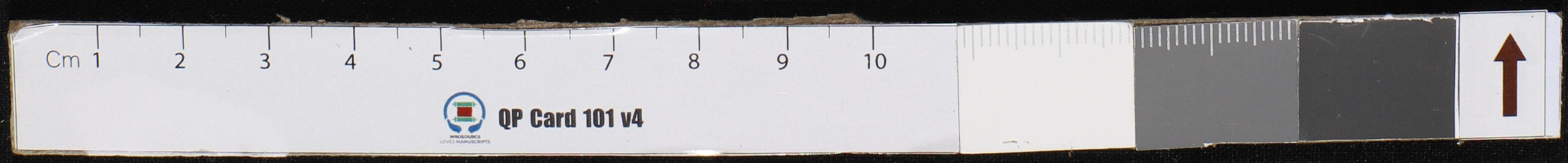

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَ
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِ
إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨

(يا ايها الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة وهم اليهود. اى يا ايها العلماء العالمون بالكتب المتقدمة (امنوا بما نزلنا) على عبدنا وهو القرآن حالة كونه (مصدقا) موافقا (لما معكم) فى كتبكم من اصول الدين وأركانه (من قبل ان نطمس) ونمحو (وجوها) وما فيها من العين والانف والحاجب (فنردها على ادبارها) كالاقفاء لوحا واحدا. اى امنوا به وصدقوه قبل ان نعمى عليكم السبيل بما نبصر المؤمنين بشؤنكم (او نلعنهم) نمسخهم ونطردهم عن ساحة عز الوجوب الى مضيق الامكان (كما لعنا) ومسخنا (اصحاب السبت) منهم بمخالفتهم الامر الوجوبى باختراع الحيلة وهم الذين صادوا السمك يوم السبت وقد نهوا عنه (وكان امر الله) وقضاؤه بايقاع وعيده (مفعولا) وقعا حتما. ولما نزلت اسلم عبد الله بن سلام: روى ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع بهذه الاية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتى اهله وقال يا رسول الله وما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى الى قفاى. اخرج ابن ابى حاتم والطبرانى عن ابى ايوب الانصارى قال: جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ان لى ابنى اخ لا ينتهى عن الحرام قال وما دينه قال يصلى ويوحد الله قال استوهبه منه دينه فان ابى فاتبعه منه فطلب الرجل ذلك منه فاتى عليه فاتى النبى فاخبره فقال وجدته شحيحا على دينه. فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به) باثبات الوجود لغيره (ويغفر ما دون ذلك) ما سوى الشرك من الكبائر والصغائر (لمن يشاء) ان يغفر له. وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «من علم انى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا ابالى ما لم يشرك بى شيئا». (ومن يشرك بالله) يتخذ له ندا (فقد افترى) على الله واكتسب لنفسه (اثما عظيما) واى اثم اكبر من الشرك فانه لا يصح معه عمل. وعند الطبرانى عن سلمان ان رسول الله عليه وسلم قال: «ذنب لا يغفر وذنب لا يترك وذنب يغفر، فاما الذى لا يغفر فالشرك بالله واما الذى يغفر فذنب العبد فيما بينه وبين الله عز وجل واما الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا.

...نفسهم ۚ بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا ۝٤٩ انظر كيف يفترون
على الله ا... بهـ اثما مبينا ۝٥٠ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت ... غوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا
سبيلا ۝٥١ اولئك الذين لعنهم الله ۗ ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ۝٥٢

عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربونه قربانهم ويزكونهم انهم لاخطايا لهم ولا ذنوب فانزل الله (الم تر) الى (اهل الكتاب الذين يزكون) ويطهرون (انفسهم) بالصدقة والزيادة والبرهم رياء وسمعة - والاستفهام للتعجب - اى انظر الى اهل الكتاب وعلمائهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من من الكفر والاثم (بل الله يزكي) ويطهر (من يشاء) بالايمان والاسلام ... وفي هذه الآية تحذير من اعجاب المرء لنفسه بالقول والمدح ولو بالحق ولتزكيتها بالباطل قد تجلى قال الله تعالى: «فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى». فالمراؤن المعجبون المزكون لنفوسهم قولا بلا توافق احوالهم واعمالهم على مقالهم يعاقبون عليها على سواء (ولا يظلمون فتيلا) بقدر قشر النواة.

(انظر) يا ايها الرسول (كيف يفترون) يكذبون (على الله الكذب) بتزكية انفسهم (وكفى به) بالافتراء (اثما مبينا) بينا. (الم تر الى الذين اوتوا) اعطوا (نصيبا) بادعائهم (من الكتاب) وهم علماء اليهود الاستفهام للتعجب اى - كيف (يؤمنون بالجبت والطاغوت) صنمان كانا لقريش - وفي حديث قطن ابن قبيصة عن ابيه مرفوعا عند ابي داود «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». والعيافة الخط والرمل - والطيرة من زجر الطير. والطرق هو الضرب بالحصا - والبن - وهب الذرة وضرب البخت وما شاكل عن احوال الناس. وعن ابن عباس ان الطاغوت هم الناس من الذين يكونون بين يدي الاصنام ويعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس. وقيل الطاغوت هو الكهان. (ويقولون للذين كفروا) اليهود لكفار قريش حين قالوا لهم نحن اهدى سبيلا نحن ولاة البيت ونحن نسقي ونقري الضيف ونفك العاني ومحمد قد خالف دين آبائه وقطع الرحم (هؤلاء) اى انتم (اهدى من الذين امنوا) بمحمد (سبيلا) هديا ودينا (اولئك) الذين بينا سوء حالهم هم الذين (لعنهم الله) وطردهم عن موجبات رحمته (ومن يلعن الله) يبعده عن رحمته (فلن تجد لهم نصيرا) مانعا من عذابه.

أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ٥٣ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ٥٤ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ٥٥ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ٥٦ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ٥٧.

(أم لهم) الاستفهام انكاري اى - بل ألهم (نصيب من الملك) اى ليس لهم شئ من الملك - رادا عليهم فى قولهم: نحن اولى منه بالنبوة والملك. ولئن كان لهم نصيب من الملك (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) قدر النقرة التى تنبت منها النخلة. (ام) بل (يحسدون الناس) والحسد مذموم من كل خلق سواء كان من كافر او من مؤمن. وفى الحديث: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والصلاة نور المؤمن والصيام جنة من النار» رواه ابن ماجه عن انس ح. والمعنى: بل هم يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم والعرب (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة والكتاب والحكمة - وحسدوه على ما احل الله له من النساء وكانت له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فرد الله عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم) وذريته (الكتاب والحكمة والنبوة) كموسى وداود وسليمان (وآتيناهم ملكا عظيما) ولم يشغلهم الملك والنساء عن النبوة والكتاب. فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان الف امرأة سبع مائة من الاحرار وثلاثمائة من السرارى. (فمنهم) اى اليهود (من آمن به) اى النبى الاى (ومنهم من صد) واعرض (عنه) عن الايمان به (وكفى بجهنم سعيرا) تسعر لهم يعذبون فيها. (ان الذين كفروا بآياتنا) اى القرآن (سوف نصليهم) ندخلهم (نارا) يحترقون فيها (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) روى ان هذه الاية قرئت عند عمر رضى الله عنه فقال للقارئ: اعدها. فاعادها. وكان عنده معاذ ابن جبل. فقال معاذ عندى تفسيرها، تبدل فى ساعة مائة مرة. فقال: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ليذوقوا العذاب) وليدوم لهم (ان الله كان عزيزا حكيما) عادلا بحكمه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) بغير خروج (لهم فيها أزواج مطهرة) من العذرات والعيوب (وندخلهم ظلا ظليلا) دائما لا تنسخه الشمس.

وا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله

نعما يعظكم كان سميعا بصيرا ٥٨

(ان الله يأمركم) ايها الناس والحكام (ان تؤدوا) ترد وا وتدفعوا (الامانات) ما اؤتمن عليه من الحقوق من الاموال والشهادات وسائر حقوق العباد من التربية والتكميل والهداية والارشاد (الى اهلها) ومستحقيها. نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له: انه مع عثمان وطلب منه فابى. وقال: لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح. فلوى على بن ابى طالب يده واخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين. فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة. فانزل الله هذه الاية. فامر رسول الله عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك. فقال عثمان: اكرهت واذيت ثم جئت ترفق! فقال على: لقد انزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية. فقال: اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات. فدفعه الى اخيه شيبة. فالمفتاح والسدانة فى اولادهم الى يوم القيامة. اه. وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر برد المفتاح اليه قال: خالد الامانة الله خالدة تالدة الى يوم القيامة لا ينزعها منكم الا ظالم. وورد الامانة الى صاحبها من اعظم اوصاف الامانة. وعن انس قال صلى الله عليه وسلم: «لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له» رواه احمد فى مسنده من السنن صحيح (وان الله يأمركم (اذا حكمتم بين الناس) المتخاصمين (ان تحكموا بالعدل) اى على وجه الانصاف والسوية والقسط بلا ميل منكم الى جانب احد من المتخاصمين. امر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالعدل. والحكم بين الناس له طرق منها الولاية والقضاء. ومنها تحكيم المتخاصمين لشخص فى قضية خاصة. فكل من يحكم يجب عليه ان يعدل. والعدل ايصال الحق الى صاحبه من اقرب الطرق اليه. ولا يتحقق ذلك الا باقامة ركنين للعدل - الاول ان يعلم الحاكم الحكم الذى شرعه الله ليكون الفصل بين الناس به. الثانى فهم الدعوى من المدعى والجواب من المدعى عليه، ليعرف موضوع التنازع والتخاصم، (ان الله نعما) نعم الشئ الذى (يعظكم به) وهو اداء الامانة والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) فلا يخفى عليه شئ من اقوالكم ولا من افعالكم ولا من نياتكم فلا تتعوا ما ليس فيكم من الامانة والعدل ولا تقولوا ما لا تفعلون فانه يجزى كل عامل بما عمل.

يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم
فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... واحسن
تأويلا ٥٩

لما امر الله الولاة بالعدل فى المحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل فى
ضمن طاعة الله ورسوله: (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله) بامتثال اوامره واجتناب
نواهيه بالعمل بكتابه العزيز (واطيعوا الرسول) الذى استخلفه من نفسه ليهديكم
الى توحيده واداء شرائعه. واطيعوا (اولى الامر) وهم امراء الحق وولاة العدل
الكائنين منكم اذا امروكم بطاعة الله ورسوله. والمراد باولى الامر جماعة اهل الحل
والعقد من المسلمين - وهم الامراء والحكام والعلماء ورؤس الجند وسائر الرؤساء
والزعماء الذين يرجع اليه الناس فى الحاجات والمصالح العامة ... فطاعة الله ورسوله وما
ترتب عليهما تكون فى الامور الدينية فلا يتعلق به اهل الحل والعقد بل هو مما يؤخذ
عن الله ورسوله فقط، ليس لاحد رأى فيه الا ما يكون فى فهمه. وطاعة اولى
الامر تكون فى شؤن الدنيوية المتفرعة على الدينية والمحافظة عليها - وهناك
لابد من تنازع فى فروع الفقهية والدينية وفى مجالس الشورى بين المسلمين
(فان تنازعتم) واختلفتم (فى شئ) من امور الدين اهو موافق ومطابق للشرع المبين او
غير موافق (فردوه) وارجعوا فيه (الى) كتاب (الله) و (سنة (الرسول) مدة حياته
بسؤاله ولعده الى سنته وذلك بان يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما
من القواعد العامة والسيرة المطردة، فما كان موافقا لهما علم انه صالح لنا ويجب
الاخذ به، وما كان منافرا علم انه غير صالح ووجب تركه وبذلك يزول التنازع وتجمع
الكلمة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) شرط جوابه محذوف عند بعضهم بدلالة
المذكور عليه - اى فردوه. فان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان. ودلت
الاية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافق الحق. وان امروكم بخلاف ذلك فلا
طاعة لهم لقوله صلى الله عليه وسلم: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق
رواه احمد والحاكم عن عمران. وقوله: لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف
رواه الشيخان عن على (ذلك خير واحسن تاويلا) مآلا واحمد عاقبة. فالتاويل هنا بمعنى
المآل والعاقبة، لا بمعنى التفسير والتبيين فله اطلاقان. اهـ جل

ان انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا [illegible] وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا ٦٠

ان ناسا من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة فى الجاهلية حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس. وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل له او اخذت ديته مائة اوسق من تمر. واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا. فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك. فقال بنو النضير: كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك. فقال الخزرجى: هذا شئ اخذتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا، فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اقوة فى الدين فلا فضل لكم علينا. فقال المنافقون منهم: ننطلق الى ابى برزة الكاهن الاسلمى. وقال المسلمون من الفريقين ننطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم. فابى المنافقون وانطلقوا الى ابى برزة الكاهن ليحكم بينهم فابى ان يحكم بينهم الا بحال كيئى.

فنزلت اية القصاص وهذه الاية: (الم تر) يا محمد (الى) المنافقين (الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك) من القرآن (وما انزل من قبلك) من الكتب المنزلة على اخوتك من الرسل. ومع ذلك (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) المضل عن مقتضى الكتب والايمان بالله - وهو ابو برزة الكاهن. ومعنى الطاغوت كل باطل من معبود غير الله او قاض او كاهن. فكل من قصد التحاكم الى اى عالم يريد ان يحكم له بالباطل ويهرب اليه من الحق فهو مؤمن بالطاغوت. ولا كذلك الذى يتحاكم الى من يظن انه يحكم بالحق (والحال ان الذين يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت (قد أمروا ان يكفروا به) لأن الكفر بالباطل اى الطاغوت ايمان بالحق وهو الله (ويريد الشيطان ان يضلهم) عن طريق الحق (ضلالا بعيدا) وفى تابيد التناسين - والاية نزلت فى يهودى ومنافق تخاصما. فقال اليهودى نتحاكم الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف ثم رجعا الى الحكم الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نرجع الى عمر رضى الله عنه. فأتياه وذكر اليهودى ماجرى. فقال عمر للمنافق: كذلك؟ قال: كذلك. - فقال: اصبرا! ثم دخل البيت. فاتى بسيفه فضرب عنق المنافق وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل. فسمى الفاروق. اه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ
لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

(واذا قيل لهم) للمعرضين عن الحق احدا فا للنفع (تعالوا) هلموا (الى) امتثال (ما انزل الله) من
الكتاب الجامع لجميع الكتب المبينة لطريق الحق الهادية الى توحيده (والى) متابعة (الرسول)
المبلغ الكاشف لكم احكامه (رايت المنافقين يصدون) غيرهم ويعرضون بانفسهم (عنك)
وعن خطتك الى غيرك (صدودا) اى يعرضون عن حكم الله ورسوله وكل من انقاد عن حكم
الكتاب والسنة واعرض عنها والتجأ عن ذكر غيرها له من ذلك نصيب فان المعتمد عليها
او على احدها واخطأ بعد بذل الجهد فى الحكم معفو عنه لانه المقلد لغيرها. وفى الحديث قال صلى
الله عليه وسلم: «صاحب السنة ان عمل خيرا قبل منه وان خلط غفر له» رواه الخطيب عن
ابن عمر. اه تاج التفاسير. ثم قال: وليس هذا لغير مقلد السنة. (فكيف) يفعلون ذلك مع انهم
(اذا اصابتهم مصيبة) يعجزون عنها (بما قدمت ايديهم) من خلافهم لامر الله ورسوله وتحاكمهم
نحو الطاغوت وعدم الرضا بقضائك وحكمك (ثم جاءوك) بعد ما اتيحوا معتذرين لك (يحلفون
بالله) ان (ما اردنا) بفعلنا وما قصدنا ما جوبنا عليه بالمحاكمة لغيرك (الا احسانا) اى
الوجه الحسن وصلحا طلبا للخير من الله بالفصل بينهم بالاحسن لاخواننا المؤمنين (وتوفيقا)
بين الخصماء. (اولئك) المنافقون المتهكمون فى الغى والضلال. هم (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم)
من خلاف ما قالوه فلا يغنى عنهم حلفهم الكاذب شيئا من عذاب الله (فاعرض عنهم) وعن
عقابهم ولا تعاقبهم واصرف وجهك عنهم ولا تقبل عليهم بالبشاشة عند المؤمنين (وعظهم)
بلسانك ببيان سوء حالهم لهم فى الخلوات اذا اصروا على ما هم عليه (وقل لهم فى
انفسهم) فى حق انفسهم الخبيثة وما ينالها بسبب خبث فعلهم (قولا بليغا) مؤثرا واصلا
الى كنه المراد. حين كانوا منفردين خاليا بهم وليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة.
فان النصح فى السر انجح وانفع.

إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ٦٤ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ٦٥ ولو أنا
كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من ديارهم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ٦٦ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا
عظيما ٦٧ ولهديناهم صراطا مستقيما ٦٨

(وما أرسلنا من رسول) الى امة من الامم الماضية (إلا ليطاع ويؤمن به ويمتثل
بأمره فيما يأمره به وينهاهم) (بإذن الله) بأمر الله لا ليعصى ويخالف. وهذه الآية تدل على
وجوب طاعتهم فيما يأمرون او ينهون به فمن صد عنهم وخرج عن طاعتهم او رغب عن حكمهم كان
نازعا عن حكم الله وسنته فيهم مرتكبا اكبر الآثام في ذلك. وعن ابي موسى عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال: يا قوم. اني رأيت الجيش
بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على
مهلهم فنجوا. وكذبته طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم.
فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق"
رواه مسلم. (ولو انهم) المنافقون (اذ ظلموا انفسهم) بالخروج عن طاعتك (جاؤك) معتذرين
(فاستغفروا الله) بالاخلاص (واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) لانه يقبل النصوح
(فلا وربك) اى فو ربك (لا يؤمنون) بالله وبكتبه ورسله (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) في عموم
وقائعهم وخطوبهم التي اختلفوا فيها. (ثم) بعد ما حكموك (لا يجدوا في انفسهم حرجا) ضيقا وشكا
(مما قضيت) وحكمت (ويسلموا تسليما) وانقيادا ظاهرا وباطنا. (ولو انا كتبنا) وفرضنا (عليهم)
في توبتهم: (ان اقتلوا انفسكم) كما فعل مثل هذا في امر بني اسرائيل (او اخرجوا من دياركم) اوطانكم
وهاجروا الى بلاد اخرى (ما فعلوه) اى المكتوب عليهم من احد الامرين (الا قليل منهم) يعني
المؤمن الخالص المخلص من يطيع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. (ولو انهم فعلوا ما يوعظون
ويؤمرون (به) من متابعة الرسول رغبة لا رهبة (لكان خيرا لهم) في اولاهم واخراهم (واشد تثبيتا)
(وتثبيتا) اى حيث ثبتوا. او لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) ثوابا جزيلا
(ولهديناهم صراطا مستقيما) دينا قيما. او طريق العمل الصالح على الوجه الصحيح.

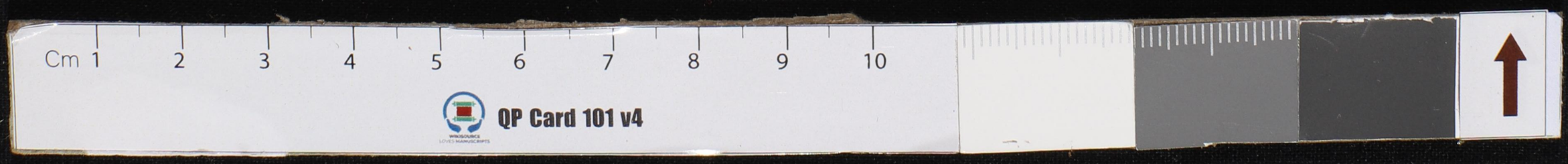

وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ا
وَالشُّهَدَاۗءِ وَالصّٰلِحِيْنَ ۚ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيْقًا ۝ ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ ا ... اللّٰهِ عَلِيْمًا ۝

(و) اعلموا ايها المؤمنون (من يطع الله) حق اطاعته. ويطع (الرسول) فيما امر به ايجابا اوندبا وفيما نهى عنه نهى تحريم اوكراهة على الوجه المبين من قوله تعالى «يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول» الى قوله «ولهديناهم صراطا مستقيما» (فاولئك) مصاحبون (مع الذين انعم الله عليهم من) الاصناف الاربعة الاولى قوله تعالى (من النبيين) الذين يحصون بنى مرتبتى الكمال والتكميل. وفى الآية سلوك طريق التدلى، فان منزلة كل واحد من الاصناف الاربعة اعلى من منزلة ما بعده. جل. والثانية من قوله تعالى (والصديقين) الذين ارتقت نفوسهم بمراقى النظر تارة وبالتصفية والمجاهدة تارة اخرى وبالمعون فى صدق اللسان والعمل. كما نقل عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه بمجرد ما بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم عرف انها الحق وقبلها وصدق بها فصدق النبى فى قوله وفعله اكمل الصدق. ويليه فى ذلك جميع السابقين الاولين كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعدا اخرين من السابقين فانهم انقادوا الى الاسلام بسهولة قبل ان تظهر الايات وثمرات الايمان.. والثالثة من قوله تعالى: (والشهداء) الذين ادّاهم حرصهم على الطاعة الى بذل ارواحهم فى سبيل الله. — فالشهداء هم القائمون بالقسط الذين ذكرهم الله فى القرآن «شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط» وهم اهل العدل والانصاف الذين يؤمنون الحق بالقول والعمل والاخلاق والاحوال. فالشهداء هم حجة الله فى الارض على المبطلين فى الدنيا والاخرة بحسن سيرتهم. وبين الرازى انه لا يجوز ان يراد بالشهيد هنا من قتله الكفار فى الحرب لان الشهادة مرتبة عالية عظيمة فى الدين وكون الانسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل فى الفساق ومن لا منزلة له عند الله تعالى» ولانه ورد اطلاق لفظ الشهيد على المطعون والمهدوم والمغريق. والرابعة من قوله تعالى: (والصالحين) الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباد الله وهم الذين صلحت نفوسهم واعمالهم فى الغالب ولم يصروا على الذنب وهم يعلمون لهؤلاء الاصناف الاربعة هم صفوة الله من عباده (وحسن اولئك رفيقا) والرفيق الصاحب - ومرافقة هؤلاء فى الجنة يستمتع فيها بروئيتهم وزيارتهم ومجالستهم (ذلك) اى كونهم مع من ذكر لهو (الفضل من الله وكفى بالله عليما) بثواب الاخرة.

يا أيها [illegible] احذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ٧١ وإن منكم لمن ليبطئن فإن
أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ٧٢ ولئن أصابكم فضل من
الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ٧٣.

بعد ما كان الكلام من اول السورة في مواضع، منها ما يكون موضوعا بين الاصل
والاقارب والمعاشرات واليتامى والمساكين والمعاملات، وبيان احكام بعض العبادات
وتثبيت النفس على الصدق في المعاملة وغيرها من الاحكام بالامر بالطاعة.
والغرض من ذلك الاصلاح انتظام شمل المسلمين وصلاح امورهم الخاصة والعامة
بعد هذا كله شرع يبين لنا بعض الاحكام الحربية والسياسية في حفظ ملتنا وحكومتنا
المبنية على تلك الاصول المحكمة من الاعداء الذين يعتدون علينا فقال:
(يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم) اى احترزوا وتيقظوا واستعدوا بالسلاح للقتال
من عدوكم - كما قال في اية اخرى «واعدوا لهم ما استطعتم» ويدخل في ذلك معرفة حال العدو
ومعرفة ارضه وبلاده. وبعد ما تم اعدادكم (فانفروا ثبات) اخرجوا قبل العدو جماعات
متفرقة - فرقة بعد فرقة - وسرية بعد سرية. [السرية الجماعة اقلها مائة] هذا يتعين اذا
كان الجيش كثيرا. (او انفروا) كلكم (جميعا) مجتمعين على قدر الحاجة. (وان منكم ايها المؤمنون
(لمن ليبطئن) ليتأخرن عن الخروج الى الحرب من المنافقين الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد.
(فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) ذلك المبطئ المتثاقل المنافق (قد انعم الله علي
اذ لم اكن معكم شهيدا) بعدم حضوري تلك الشهادة. (ولئن اصابكم فضل من الله) ظفر
وغنيمة (ليقولن) نادما متمنيا من فرط تحسره وتحسبكم (كان لم تكن بينكم وبينه مودة)
من الله لتحسر الاعداء للاعداء: (يا ليتني كنت معهم) وقد نسي ان يكون اخا لكم وكان من
شأنه ان يخرج معكم، وما منعه الا ضعف الايمان. ان هؤلاء هم المنافقون، فان المؤمن مهما
كان ضعيف الايمان لا يقول هذا القول عند مصيبة المؤمنين، ولم يعد من نعم الله عليه ان لم يكن معهم
شهيدا - ولا ان يقول (فأفوز فوزا عظيما) بل يستحي من الله ويلوم نفسه ان اطاعت
داعي الجبن ويستغفر ربه من ذلك ولا يكون شديد الحرص على المشاركة في الغنائم
والغنيمة.

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن
يقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ٧٤ وما لكم لا تقاتلون في سبيل
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا
من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ٧٥ الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ٧٦

ثم امر الله بالقتال المشروع يرغب فيه المؤمنين الذين يؤثرون ما عند الله تعالى في دار الجزاء على الكسب والغنيمة وعلى التمني بالقوة والغلب فقال: (فليقاتل في سبيل الله) اي طريق الحق والانتصار له لاعلاء كلمة الله. وفي الحديث «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابي موسى. (الذين يشرون) ويبيعون ويستبدلون (الحياة الدنيا) العاجلة (بالاخرة) الاجلة، اذا هددوا امتنوا او اغاروا على ارضنا او نهبوا اموالنا او صادروا في تجارتنا وصدونا عن استعمال حقوقنا مع الناس. فسبيل الله عبارة عن تأييد الحق الذي قرره. عن سعيد بن زيد احد العشرة رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون اهله فهو شهيد» رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن. (فان الصالحين ...) (ومن يقاتل في سبيل الله) ترويجا لدينه واعلاء لكلمته مع المشركين، لا لاجل الحمية والخطوط الدنيوية (فيقتل) فيستشهد (او يغلب) عدوه ويظفر به (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) من لدنا. (وما) ذا عرض لكم (ايها المؤمنون (لا تقاتلون في سبيل الله) مع اعداء الله ورسوله (والمستضعفين) وفي تخليص المستضعفين (من الرجال والنساء والولدان) وقد استنفرهم اهل مكة وقد بقوا في مكة اسارى بعد الهجرة وفيهم ابن عباس وامه. (الذين يقولون) متضرعين الى الله (ربنا اخرجنا من هذه القرية) وهي وطنهم (الظالم اهلها) باتخاذهم شركا لك وعداوتهم لنا لاجلك (واجعل لنا من لدنك) من عندك (وليا) اي ولي علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا على اعدائنا. فاستجاب الله دعاءهم وانقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وهو ابن ثمانية عشر سنة. ثم قال: (الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله) طلبا لمرضاته (والذين كفروا) بالله (يقاتلون في سبيل الطاغوت) المضل عن طريق الحق (فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) لا عبرة له ولا تأثير.

لما ذكر الله فى الايات السابقة الامر باخذ الحذر والاستعداد والنفر وذكر حال المبطئين والامر من القتال فى سبيله وانقاذ المستضعفين، ثم ذكر شأنا آخر من شؤنهم. اخرج النسائى والحاكم عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف واصحابا له اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبى الله: كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اذلة. فقال: امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله الى المدينة امرهم بالقتال فكفوا. فانزل الله هذه الاية. (الم تر الى) المؤمنين (الذين قيل لهم) عند ضعفهم وقلة عالهم حين كانوا فى مكة يريدون ان يقاتلوا: (كفوا ايديكم) عن القتال لان يأذن الله لكم (واقيموا الصلاة) اشتغلوا بعباداتى بما اقام الصلاة على المداومة والتوجه المقرب لكم نحو الحق (واتوا الزكاة) التى اوجبناها عليكم المصفية لاموالكم ولنفوسكم عن زخرفة الدنيا. وانتظروا الامر الالهى المتعلق بالقتال والجهاد. (فلما كتب عليهم) بعد ما قوى حالهم وزال ضعفهم وكان فى السنة الثانية من الهجرة (القتال اذا فريق) طائفة (منهم) من الصحابة لضعف ايمانهم وقلة وثوقهم بنصر الله (يخشون) يخافون (الناس) الكفار (كخشية الله او اشد خشية) اى بل خشيتهم من الناس اشد من خشيتهم من الله لوهن اعتقادهم وضعف ايمانهم. (وقالوا ربنا لم كتبت) اوجبت (علينا القتال لولا) هلا (اخرتنا) امهلتنا واخرتنا ورددتنا فى مدة الكف (الى اجل قريب) ووقت آخر حذرا من الموت والتغصى من القتال. اى حتى نموت بآجالنا وعافيتنا. (قل) لهم يا محمد ردا عليهم وتذكيرا وتنبيها (متاع الدنيا) اى ما يتمتع به فيها وعيشة المرء فى الدنيا ونعيمها (قليل) سريع زواله قصير عمره بالمناسبة لما عند الله من العطاء (والاخرة) المعدة للجزاء (خير لمن اتقى) وحفظ نفسه عما يشغله عن لقاء الله وعطائه. واذا كان الآخرة خير للمتقين فهى شر ووبال على المجرمين. سئل ابو محمد سهل بن عبد الله التستري فى تفسير قوله تعالى: «قل متاع الدنيا قليل» ما الدنيا؟ فقال: الدنيا كلها جهل الا موضع العلم والعلم كله حجة الا موضع العمل به. والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص والاخلاص لا يتم الا بالسنة. ثم قال: دنياك نفسك فاذا قنيتها فلا دنيا لك. (ولا تظلمون) من جزاء اعمالكم (فتيلا). قليلا - تقدم تفسيره.

أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ٧٨ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك
للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ٧٩

هذا كلام مبتدأ من قبله سبحانه وتعالى في محل نصب داخل تحت القول. وأين اسم شرط يجزم فعلين وما زائدة وأين ظرف مكان. واختلف في رسم أينما تكونوا والأكثر على القطع بين أين وما. تكون مجزوما بها فعل الشرط وجوابه يدرككم. والمعنى: قل لهم: ان تسويفكم وتأخيركم هذا لا يفيدكم ولا ينفعكم (أينما تكونوا) في الحضر وفي السفر (يدرككم الموت) الذي تكرهونه اذا انقضى الأجل في القتال أو لا (ولو كنتم) تحصنتم منه (في بروج مشيدة) قصور محصنة. وقد يموت المعتصم في البروج والمحصون ولا يصاب بجرح ولا يقتل من يخوض مع القتال (وان تصبهم) اي اليهود والمنافقين (حسنة) خصب ورخاء تسر بها نفوسهم (يقولوا هذه من عند الله) كانوا يضيفون الحسنة الى الله (وان تصبهم سيئة) وجدب وبلاء (يقولوا هذه من عندك) اضافوها اليك. روي ان المدينة ذات خير ونعم وارزاق عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم. فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك. فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل المشؤوم واصحابه (قل) لهم يا محمد (كل) من الحسنة والسيئة نازلة (من عند الله) حسب قدرته وارادته فاما الحسنة فانعام واما السيئة فابتلاء. (فمال هؤلاء القوم) اي فما بال هؤلاء القوم. وماذا اصاب عقولهم (لا يكادون) لا يقاربون (يفقهون) يفهمون (حديثا) ناطقا وهو القرآن. ثم نبه الله سبحانه على خلل من عباده طريق توحيده قال: (ما اصابك) توجيه الخطاب الى افراد كل انسان اي ايها الانسان (من حسنة) ونعمة (فمن الله) تتفضل به عليك من غير استحقاق منك (وما اصابك من سيئة فمن) سبب (نفسك) التي ارتكبتها وارتكبت ما يستوجبها من الذنوب. فلا ينافي أنّ خلقها من الله كما في قوله «كل من عند الله» وعن عائشة رضي الله عنها: «ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب ولا شوكة فما فوقها الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر» (وارسلناك) يا محمد (للناس) كافة (رسولا) لتبلغهم رسالتي. وما ارسلناك به. ولست رسولا الى العرب وحدهم، وليس للرسول دخل فيما يصيب الناس من الحسنات والسيئات (وكفى بالله شهيدا) على صحة رسالتك للناس كافة. بشيرا ونذيرا. لا مسيطرا عليهم ولا مقيدا لتعلم الاجتماع فيهم

راجع قصة امرأة قتلته العقبوت وهي في البرج بالحيوان ٢ ص ٢٨٦

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ٨٠ ويقولون طاعة فإذا
برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم
وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ٨١ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا ٨٢

(من يطع الرسول) ويؤمن به ويصدقه بعموم ما جاء به من عند ربه (فقد اطاع الله) بذلك. قد جعل الله طاعته نفس طاعته فهو الخليفة حقيقة. فالذي يطاع لذاته هو الله لانه رب الناس والههم وملكهم. والرسل تجب طاعتهم فيما يبلغونه عنه. قال الرازي: قال مقاتل في هذه الاية: ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله». فقال المنافقون: قد قارب هذا الرجل الشرك وهو ان نهى ان نعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى. فانزل الله هذه الاية. اهـ. يعني ان ما يامر به الرسول من حيث هو فهو من الله وهو العبادات والفضائل والاعمال العامة والخاصة التي تحفظ بها الحقوق وتدرأ المفاسد وتحفظ المصالح فمن اطاعه في ذلك فقد اطاع الله (ومن تولى) واعرض عن طاعتك (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظهم عما يشينهم ولا مسيطرا ولا وكيلا ولا جبارا انما ارسلناك عليهم مبشرا ونذيرا وداعيا الى الايمان والتوحيد. (ويقولون) اي المنافقون اذا امرتهم بامر: (طاعة) اي اطاعة لامرك وامتثال (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك) وانصرفوا من مجلسك (بيت) ودبر وزورت (طائفة منهم) ليلتهم وهم رؤساؤهم (غير الذي تقول) عندك من الطاعة. او غير الذي قلت لهم. (والله يكتب) في صحائف اعمالهم بايدي حفظته (ما يبيتون) ليلتهم ما في ضمائرهم من السوء فيجازيهم (فاعرض عنهم) ولا تبال باطاعتهم وقبولهم (وتوكل على الله) وثق به في جميع الامور (وكفى بالله وكيلا) يكفيك شرهم. (افلا يتدبرون) ويتاملون (القرآن) ومعانيه ومقاصده وحسن مبانيه. فانهم لو تدبروه حق التدبر لعلموا انه يهدي الى الحق ويأمر بالخير والرشد (ولو كان) القرآن نازلا (لكبك) (من عند غير الله) اي من جنس كلام البشر (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) في معانيه وفي نظمه من تناقض بعضه بعضا لعدم استطاعة اي مخلوق ان يأتي بمثل هذا القرآن. وحاصل معنى الاية ان تدبر القرآن فرض على كل مسلم مكلف لا خاص بنفر يسمونه المجتهدين، بشرط انه لا بد منه معرفة لغة القرآن. فهي التي يجب على من دخل في الاسلام ان يتقنها بقدر استطاعته في القول والكتابة حتى تصير ملكة وذوقا. لا بمجرد القواعد العربية من النحو والبيان التي وضعت لها.

واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ط ولو ردوه الى الرسول وا
الذين يستنبطونه منهم ط ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيـ
قليلا ١٣

(واذا جاءهم) ضعفاء الرأى من المسلمين او المنافقين (امر من الامن) من خبر نصر او
فتح او غنيمة (او الخوف) من خبر هزيمة او قتل (اذاعوا به) وافشوه ونشروه بين الناس
ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان فى ذلك بعض اضعاف
لقلوب المؤمنين وايذاء للنبى صلى الله عليه وسلم. وفى ذلك مفسدة فى السياسة. وتدل هذه
الاية فى جمهور المسلمين من غير تعيين لقوم بعينهم، بل هى مما يلحظ به اكثر الناس. فخوض العامة
فى السياسة وامور الحرب - والامن والخوف امر معتاد ولعوضا رجما اذا شغلوا به عن عملهم.
فما كان ينبغى ان تخوض العامة فى السياسة (ولو) انهم حين سمعوا الخبر (ردوه الى الرسول
والى اولى الامر منهم) من اهل الحل والعقد واصحاب الرأى والتدبير منهم ورجال المشورى.
(لعلمه) العقلاء (الذين يستنبطونه) اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم، فعلى
ينبغى اذا عنه او كتمه ؛ روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبى صلى الله عليه وسلم
نساءه دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساءه. فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى: لم يطلق نساءه!. ونزلت هذه الاية
" واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم " فكنت انا استنبطت ذلك الامر. (ولولا فضل الله عليكم) بهدايتكم
الى معالم الاسلام وارسال الرسل وانزال الكتب (ورحمته) بتوفيقكم على الايمان ومتابعة الرسول
(لاتبعتم الشيطان) فيما يأمركم به) من الفواحش والعصيان (الا قليلا) ممن كمل عقله
واهتدى بهداية القرآن فلا ينشئ الا بالخير.

كلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله
اشد باسا واشد ٨٤ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن
له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا ٨٥

دعا الناس عليه السلام الى القتال فى بدر الصغرى فى السنة الرابعة وذلك لان
احدا كانت فى الثالثة. ولما انصرف منها ابو سفيان نادى باعلى صوته يا محمد موعدك
العام فى بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ان شاء الله. فلما جاء العام المقابل كره
بعضهم الجهاد حين دعاهم فى الموعد. نزل (فقاتل) انت وحدك غير مكترث بما فعلوا. اذ (لا
تكلف الا نفسك) فلا تهتم بتخليهم عنك فان الله ناصرك (وحرض المؤمنين) اى وحثهم
على القتال معك بدلا للنصيحة (عسى الله ان يكف) ويحمو عن قلبك (باس) حرب (الذين
كفروا) يعنى قريشا - وقد فعل - فقد القى فى قلب ابى سفيان ومن معه الرعب فرجعوا.
(والله اشد باسا) وهيبة ومهابة (واشد تنكيلا) وتعذيبا. وهذه الواقعة يقال:
فى هلال ذى القعدة بعد عزوة ذات الرقاع سنة خمس - (من يشفع) بين الناس (شفاعة حسنة)
يرامى بها حق الله وحقوق عباده (يكن له نصيب) وحظ وافر (منها) وبسببها. الشفاعة
هى التوسط بالقول فى وصول شخص الى منفعة دنيوية او اخروية او الى خلاص من مضرة
كذلك. ويندرج فى الشفاعة الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله. جل يعنى من يجعل نفسه
شفعا لك وتدامرت بالقتال وتراءوا وهى الشفاعة الحسنة لانها نصر الحق وتاييد له. ومثل ذلك
كل من ينضم الى اى محسن ويشفعه يكن له حظ وجزاء من الله سبحانه وتعالى. (ومن يشفع شفاعة
سيئة) يحمل بها عباد الله الى ارتكاب محرم او يوقعهم فى فتنة وبلية (يكن له كفل) ونصيب من
الوزر. قال الحسن ومجاهد وغيرهما: ان الشفاعة شفاعة بعضهم لبعض فما يجوز فى الدين ان يشفع
فيه فهو شفاعة حسنة. وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة. - فى الحديث - قال صلى الله عليه
وسلم: «اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء». متفق عليه عن ابى موسى - صح -
وقال: «افضل الصدقة صدقة اللسان. قيل: يا رسول الله. وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة
تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى اخيك وتدفع عنه بها الكريهة» رواه
الطبرانى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه. قال مقاتل: ان الشفاعة الحسنة الدعاء. وان نصيب
الشافع منها يؤخذ من حديث «من دعا لاخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: امين ولك بمثله»
رواه مسلم وابو داود عن ابى الدرداء. (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا. قيل المحسن
ويعاقب المسئ.

وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

واذا حييتم ايها المؤمنون (بتحية) تشفة من اخيكم المسلم اى رد عليكم السلام (فحيوا)

المجى (باحسن منها) وزيدوا عليها

وذلك لان

يا محمد موعدك

ل كون

اء اذ لا

ى وحشم

رب الذين

رجعوا ،

ة يقال :

شفاعة حسنة)

شفاعة

معذرة

نفسه

ومثل ذلك

شفع شفاعة

ب من

ان يشفع

الله عليه

سى - صح -

الشفاعة

رواه

صيب

لك بمثله "

الحسن

والله اركسهم بما كسبوا ۚ اتريدون ان تهدوا من اضل الله ۗ ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۸۸ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله ۚ فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ۸۹
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ۚ ولو شاء الله
لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ۚ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۹۰

(فما لكم) وما شأنكم ايها المؤمنون (في) شان (المنافقين) حتى تكونوا فئتين) وفرقتين لم تتفقوا على كفرهم وشركهم
(والله اركسهم) وقلبهم وردهم الى كفرهم (بما كسبوا) من اعمال الشرك والمعاصي حتى انهم لا ينظرون فيه نظر
انصاف. (اتريدون) بهذا التعرض (ان تهدوا من اضله الله) فلا ينبغي لكم ان تعدوهم من المهتدين (ومن
يضلل الله) ويبعده عن الهداية والايمان (فلن تجد له) ايها الرسول (سبيلا) طريقا يصل الى الهداية والحق
(ودوا) وتمنوا (لو تكفرون كما كفروا) ترجعون انتم وهم الى دين الاسلام (فتكونون) انتم وهم سواء في
الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) انصارا تتولونهم (حتى يهاجروا) اليكم ويتحدوا معكم (في سبيل الله) هجرة
صادقة لا لاغراض الدنيا (فان تولوا) واعرضوا عن الحق واقاموا على ما هم عليه وهو النفاق (فخذوهم)
بالاسر (واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما هو حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا) تتولونهم بما يلتهم (ولا
نصيرا) تنتصرون به. (الا الذين يصلون) يلجئون ويستندون (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد بالامان
(او) الذين (جاءوكم) تاركين القتال وقد (حصرت) ضاقت (صدورهم) بالرعب والرهب عن (ان يقاتلوكم او
يقاتلوا قومهم) اي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تبادروا اليهم بالقتال والاخذ فهم لا يقاتلون المسلمين
حفظا للعهد ولا يقاتلون قومهم لانهم قومهم. هذا عدل القرآن واصول الاسلام. (ولو شاء الله) قتالكم (لسلطهم)
وجرأهم (عليكم فلقاتلوكم) ولكنه لم يشأ. فالقى في قلوبهم الرعب. (فان اعتزلوكم) وانصرفوا عنكم (فلم يقاتلوكم)
ولم يتعرضوا لكم (والقوا اليكم السلم) والصلح (فما جعل الله لكم عليهم) على قتالهم واسرهم (سبيلا) طريقا
تسلكون الى الاعتداء عليهم.

سَيَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا
إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا
سُلْطَانًا مُبِينًا ٩١

سيجدون قوما آخرين او فريقا من الذين لم يهتدوا بالاسلام (يريدون) ان يأمنوكم باظهار الايمان عندكم ويأمنوا
من قتالكم (و) يأمنوا قومهم ويظهروا لهم الكفر اذا عادوا اليهم ولم يتصدوا لمجادلة اهله بحد الحسام
فكانوا مذبذبين من المؤمنين والكافرين لايبتغون الا سلامة ابدانهم والامن على
ارواحهم واموالهم واهاليهم فهم يظهرون لكل من المتحاربين انهم منهم او عليهم.
وفي الخازن: قال ابن عباس: هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة. فتكلموا بكلمة
الاسلام رياءً وهم غير مسلمين. وكان رجل منهم يقول له قومه: بماذا آمنت فيقول آمنت
بهذا الضب والعقرب والخنفساء. واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا: انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين (كلما ردوا) ودعوا (الى الفتنة)
اى الشرك والكفر والعدوان (اركسوا فيها) ووقعوا اشد الوقوع. يعنى كلما عرض لهم بلاء
هلكوا فيه. وانهم كانوا يريدون ان يأمنوا جانب المسلمين اما باظهار الاسلام واما بالعهد على
السلم وترك القتال ومساعدة الكفار على المؤمنين، ثم يغشاهم المشركون اى يحملونهم على الشرك
او على مساعدتهم على قتال المسلمين فيرتكسون فيتحولون شر التحول معهم ثم يعودون الى ذلك
النفاق فهم قد مردوا على النفاق واستمروا عليه. فلا ينبغى ان يختلف المؤمنون فى شأنهم.
(فان لم يعتزلوكم) ايها المؤمنون بترك قتالكم ولم (يلقوا اليكم السلم) ولم ينقادوا الى الصلح ولم يطلبوه
ولم (يكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم) لخبث نيتهم وفعلهم (حيث
ثقفتموهم) وجدتموهم وصادفتموهم. اى حيث تمكنتم منهم فى ديارهم او دارهم (وأولئكم)
الخادعون الذين يغرونكم بمكرهم قد (جعلنا لكم عليهم) ايها المؤمنون (سلطانا مبينا)
حجة واضحة بينة وبرهانا ظاهرا على قتلهم واسرهم. هذه تقرير لما فى بيان كون
القتال لم يشرع فى الاسلام الا لضرورة وان هذه الضرورة تقدر بقدرها فى كل حال.

وما كان لمؤمن ... منا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية
مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ط
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد
فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ط وكان الله عليما حكيما ۹۲ ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ۹۳

وما كان لمؤمن) وما ينبغي وما صح وما جاز له وليس من شأنه (ان يقتل مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) من غير قصد وتعمد. كأن قصد رمي صيد او شجرة فاصابه او كان رمى مسلما في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون قتل غير مكلف. والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق بالحرة وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فعلاه بالسيف فقتله وهو يحسب انه كافر، ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره. فنزلت.. (ومن قتل) منكم مؤمنا خطأ) كما سبق ومنه بما لا يقتل (فتحرير رقبة مؤمنة) اي فقد يلزم على القاتل شرعا تحرير رقبة محكوم باسلامها (ودية مسلمة الى اهله) يدفعها عاقلة القاتل الى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر المواريث. وقدرها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله في دية الخطأ عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون ذكور. رواه ابو داود. (الا ان يصدقوا) اي ان يتصدق الورثة بالدية على القاتل ويعفوا عنها ويسقطوا عنه باختيارهم (فان كان المقتول (من قوم عدو لكم) عداوة دينية (وهو مؤمن) في حقيقة الامر ولم يعلم ايمانه (فتحرير رقبة مؤمنة) تلزم قاتله كفارة دون الدية، لان الدية ترجع الى الورثة والكافرون لا يرثون المؤمنين. (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد كاهل الذمة (فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) كفارة عن حق الله في الذميين والمعاهد. (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) من الاثنين (توبة من الله وكان الله عليما حكيما) بامره وبما رتبه عليه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) مباشرا على قتله ارادة واختيارا بان يقصد قتله بما يقتل غالبا علما بانه مؤمن. (فجزاؤه) على قتله ذلك (جهنم خالدا فيها) وبال وزره لا يسقط عنه لا بالتحرير ولا بالدية ولا بالصوم ولا بالصدقة بل هذا جزاؤه الا جهنم خالدا ومؤبدا فيها (وغضب الله عليه واعد له عذابا عظيما) في النار. وهذا مؤول بمن يستحله، ويفيت السنة شبه العمد. ولو ان يقتله بما لا يقتل غالبا وحكمه كما قال صلى الله عليه وسلم: «عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يقتل صاحبه». رواه ابو داود عن ابن عمر. صحيح.

يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا ٩٤

قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره. فسمعوا بسرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم. فلما رآى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله - السلام عليكم، فقتلوه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه. ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقتلتموه ارادة ما معه. ثم قرأ رسول الله صلى عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية. فقال اسامة: يا رسول الله. انما قالها خوفا من السلاح فقال: افلا شققت على قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا! فقال اسامة: استغفر لي يا رسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله. يقولها ثلاث مرات. قال اسامة: فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ. ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال: اعتق رقبة. قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم) ذهبتم وسافرتم للجهاد (في سبيل الله (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر ولا تبادروا الى قتل من انقاد عليكم امره. وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) اى حياكم بتحية الاسلام مظهرا لكم الاطاعة والانقياد. قرأ نافع وابن عامر وحمزة - السلم اى الاستسلام والانقياد. : (لست مؤمنا، تبتغون) تطلبون بقتله (عرض الحياة الدنيا) المال والغنيمة والرئاسة. (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم (كذلك كنتم من قبل) فعصم الله اموالكم ودماءكم بقولكم الشهادة وما ظهر منكم من تحية الاسلام (فمن الله عليكم) بإظهار الاسلام واشتهاركم واستقامتكم في الدين (فتبينوا) ان تقتلوا مؤمنا (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه. هذا! فممن لم يهتد بكتاب الله في اسلامهم وعلمهم من يكفر من يخالف اهواءهم من اهل القبلة. وقد علمنا من هذه الآيات ان الاسلام يمنع قتل من يظهر الاسلام ومن يلقى السلم والسلام، فليعتبر المعتبرون.

ن المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم
وانفسهم فضل الله [illegible]ديين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله
الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ٩٥ درجات منه ومغفرة
ورحمة وكان الله غفورا رحيما ٩٦

(لا يستوى القاعدون) عن الحرب والجهاد فى سبيل الله (من المؤمنين) لتأديتهم
حرية الدين وصد غارات المشركين وتطهير الارض من الفساد. — روى البخارى عن البراء قال
لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم: ادع فلانا فجاء ومعه الدواة
واللوح والكتف، فقال: اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله. وخلف
النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير، فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر. — وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر. فقال
ابن ام مكتوم: وكيف انا يا رسول الله، فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى، وتعتخذه
على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه، فقال: اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين —
غير اولى الضرر): الحاقون عن هذا الجهاد كالاعمى والمقعد والزمن والمريض (والمجاهدون
فى سبيل الله) وطلب اعلاء كلمة الله واقامة دعائم الحق والاصلاح (باموالهم وانفسهم) اى
لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة، بل قد (فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين) اى على اولى الضرر (درجة) بل درجات عظيمة وفاز لحق ما اجتهدوا
فى سبيله — لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية. واولو الضرر كانت لهم النية ولم يباشروا
الجهاد. فنزلوا عن المجاهدين درجة وهى درجة العمل (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد
الله) المثوبة (الحسنى) دخول الجنة (وفضل الله المجاهدين) باموالهم وانفسهم (على
القاعدين) غير اولى الضرر (اجرا عظيما) كثيرا (درجات منه) وهو منازل بعضها فوق بعض
(ومغفرة) لذنوبهم بالمرة كيوم ولدتهم (ورحمة) خاصة لهم بان يكونوا احياء عند ربهم.
(وكان الله غفورا) لاحبابه المجاهدين (رحيما) بهم بين رحمهم حسب فضله وطوله.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا ... وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٩٧
الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ ...
إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ ... سَبِيلًا ٩٨
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ٩٩

(ان الذين توفاهم الملائكة) بقبض ارواحهم عند انتهاء آجالهم حالة كونهم (ظالمى انفسهم) بعدم اقامة دينهم وعدم نصرته. نزلت فى اناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة كقيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة فهذان واشباههما دخلوا فى الاسلام ولم يهاجروا. فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار - والمعلوم ان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجروا اليه. ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد فتح ولكن جهاد ونية». اخرجاه فى الصحيحين. (قالوا) اى فسألهم الملائكة حين قبض ارواحهم سؤال توبيخ (فيم كنتم) فى اى شئ كنتم من امر دينكم حين تخلفتم من الهجرة (قالوا) معتذرين (كنا مستضعفين) معتذرين عاجزين عن اقامة الدين (فى الارض) فى ارض مكة، لاستضعاف الكفار لنا (قالوا) الملائكة لهم: (الم تكن ارض الله واسعة) من ارض الكفار (فتهاجروا) فتحرروا التحكم (فيها) من رق الذل الذى لا يليق بالمؤمن ولا هو من شأنه كما تفعل المهاجرون الى المدينة والى الحبشة. (فأولئك مأواهم جهنم) اى مسكنهم فى الاخرة نار جهنم، لانهم تركوا الواجب وساعدوا الكفار الذين يصدونهم عن امر دينهم (وساءت) بئست وقبحت جهنم (مصيرا) ومأوى لمن يصير اليها. وفى الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه. واما المقيم فى دار الكافرين ولكنه لا يمنع ولا يؤذى اذا هو عمل بدينه بل يمكنه ان يقيم جميع احكامه بلا نكير فلا يجب عليه ان يهاجر بل ربما كانت الاقامة فى دار الكفر بسبب الظهور بمحاسن الاسلام واقبال الناس اليه. فالواجب على المجاهدين فى سبيل الله اقامة الحق بالقتال الذى فى سبيل الله او الهجرة الى حيث يتمكنون من اقامة دينهم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الذين صدقوا فى استضعافهم (الذين لا يستطيعون حيلة) لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة (ولا يهتدون سبيلا) لا يعرفون الطريق الى ارض الهجرة (فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) والاية تدل على ان ترك الهجرة خطير حتى للمضطر (وكان الله عفوا غفورا) لمن تاب من عباده.

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى
الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ﴿١٠٠﴾ وإذا
ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴿١٠١﴾ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة

(ومن يهاجر في سبيل الله) واعلاء دينه وطلب رضاه (يجد في الارض مراغما) مهاجرا ومحولا
(كثيرا وسعة) في الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته) واهله ووطنه (مهاجرا الى الله
ورسوله) في فرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او غير ذلك من اقامة سنة نبيه كطلب
النفقة والكسب الحلال (ثم يدركه الموت) بعد مجاوزة عتبة الباب ولم يصب تعبا ولا مشقة
(فقد وقع) وجب (اجره على الله) لحسن نيته واخذه في العمل (وكان الله غفورا) لمن هاجر
(رحيما) به لحملهم على ترك اوطانهم ومعاهد انفسهم لاجل اقامة دينه .. هذه الاية نزلت
في جندع بن ضمرة الليثي. وذلك انه لما نزل قوله تعالى - ان الذين توفاهم الملائكة الاية. بعث
صلى الله عليه وسلم الى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا بها اذ ذاك . فصعبها رجل من بني
ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة . فقال : والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل فاني
لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة ، اخرجوني فخرجوا به على نعشه حتى اذا التنعيم
فادركه الموت . فانزل الله على نبيه « ومن يخرج من بيته . الاية . ثم شرع الله في كيفية
الصلاة عند الضرورة في السفر (واذا ضربتم) سافرتم (في الارض) اي مسافرة كانت ولو لم
يكن في سبيل الله للدفاع عن الحق واقامة الدين بان كان للتجارة او لمجرد السياحة المباحة مثلا
(فليس عليكم جناح) اثم (ان تقصروا من الصلاة) وتصلون الظهر والعصر والعشاء (كعتين كعتين
كالصبح - كما قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة المسافر ركعتان حتى يؤب الى اهله او يموت » رواه الخطيب
عن عمر بسند صحيح . (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) جار على حسب الغالب في ذلك الوقت . والحكم في السفر
الشرعي مع عدم الخوف كذلك (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) ظاهري العداوة فاشرعوا

يجوز القصر في كل سفر مباح عند الشافعي ومالك واحمد والجمهور .
لا يجوز القصر في سفر المعصية . وابو حنيفة والثوري يجيزانه فيه .. يجوز القصر في قصير
السفر وطويله عند داود واهل الظاهر . ويروى عن مالك ايضا . وقال الشافعي يشترط سير
ليلتين . وذلك ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال . والميل ١٨٤٧ مترا . فمسافة القصر
عبارة عن ثمان وثمانين كيلو مترا و ٦٨٦ مترا .

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا [illegible]
فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ [illegible]
وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

(واذا كنت) يا محمد حاضرا (فيهم) فى اصحابك وجماعتك وشهدت معهم القتال عند صلاة الخوف.
وعند عامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم بالائمة بعده فانهم نواب عنه ويجب له فى
ذلك (فاقمت لهم الصلاة) ان تقيم بهم الصلاة بالاذان والاقامة واتمام الاركان والشرائط والاداب.
(فلتقم طائفة منهم معك) فى الصلاة يقتدون بك ركعتين. وتقوم طائفة تجاه العدو
ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) اى الذين تجاه العدو (اسلحتهم) ويتحذروا (فاذا سجدوا)
الذين صلوا معك (فليكونوا) اى الطائفة الذين يحرسكم (من ورائكم) يحرسونكم. (ولتأت
طائفة اخرى) اذا انتهى نصف الصلاة وهم الذين (لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا
معك) نصف الصلاة الثانية كما صلت الطائفة الاولى. (وليأخذوا) الذين صلوا نصف
الصلاة معك (حذرهم) اى الحذر والتيقظ والاحتراس (واسلحتهم) فيحرسون الطائفة
الاخرى كما حرستهم سابقا كذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم، كما ورد فى الصحيحين. واتم كل طائفة منهم صلاته،
(ود) تمنى واحب اعداؤكم (الذين كفروا لو تغفلون) حين صلاتكم (عن اسلحتكم وامتعتكم) اى
امواتكم (فيميلون) ويحملون (عليكم ميلة) حملة (واحدة) وانتم مشغولون بالصلاة، فيستولوا
عليكم، فلا تغفلوا عنهم ولا تجعلوا لهم عليكم سبيلا، (ولا جناح) ولا حرج ولا اثم (عليكم ان كان بكم اذى
من مطر) شديد (او كنتم مرضى) وثقل عليكم حمل السلاح (ان تضعوا اسلحتكم) فلا تحملوها ولكن
مع وضعكم ذلك (وخذوا حذركم) ولا تغفلوا عن انفسكم ولا عن اسلحتكم وامتعتكم (ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة. — روى احمد والحاكم وصححه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عياش
الزرقى قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسفان فاستقبلنا المشركون وعليهم خالد بن
الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر. فقالوا: قد كانوا على حال لو اصبنا
غرتهم، ثم قالوا يأتى عليهم الآن صلاة هى احب اليهم من ابنائهم وانفسهم. فنزل جبريل بهذه الآية بين
الظهر والعصر «واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة». الحديث.

تابع التذكير

عبد: ج ٥ : ٣٧٥

ذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما

(فاذا قضيتم الصلاة) اى فاذا اديتم وفرغتم من الصلاة فى حال الخوف على الوجه
المبين من القصر (فاذكروا الله) بانواع الاذكار بالسنتكم فى جميع الاحوال (قياما) فى حال
القيام (وقعودا) فى حال القعود (و) مضطجعين (على جنوبكم) وفى انفسكم اذكروه بتذكر وعده
فى الدنيا والاخرة. روى ابن جرير عن ابن عباس انه قال فى تفسير هذه الاية: لا يفرض الله على عباده
فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها فى حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى
اليه ولم يعذر احدا فى تركه الا مغلوبا على عقله، فقال: «فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم» بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر، والغنى والفقر والسقم والصحة والسر
والعلانية وعلى كل حال. اه. قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الله فى احيانه (فاذا اطمأننتم) وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها (فاقيموا الصلاة) مقومة
تامة الاركان والشروط والحدود والاداب. واتموها اربعا كما اذن لكم فى حال اخرى منها. (ان
الصلاة كانت) فى حكم الله ومقتضى حكمته (على المؤمنين كتابا) وفرضا اى مكتوبة مفروضة عليهم (موقوتا)
ثابتا فى اوقات محدودة معلومة لا بد من ادائها فيها فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من
الاحوال. روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم. انه ذكر الصلاة يوما، فقال:
من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا
ولا نجاة. وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابى بن خلف. رواه الامام احمد فى مسنده
وابو حاتم بن حبان فى صحيحه (ولا تهنوا) لا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال
بان تقاطعوا من الجبن ما يكون سببا فى اهانتكم يعنى عليكم بالعزيمة وعلو الهمة مع اخذ الحذر
والاستعداد (ان تكونوا) تجدون (تألمون) الم الجراح (فانهم يألمون كما تألمون) ولا يجبنوا
عن قتالكم (وترجون من الله) من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب فى الاخرة
(ما لا يرجون) ولا يخطر ببالهم، لانكم تعلمون من الله ما لا يعلمون وتخصونه من العبادة
والاستعانة وهم مشركون (وكان الله عليما حكيما) فدبر يعلم مصالحكم،

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له (طعمة) بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل يهودي يقال له زيد بن السمين. فالتمسوا الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم. فقال صاحبها: لقد رأينا أثر الدقيق حتى داره. فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه. فقال اليهودي: إنه دفعها إليه طعمة بن أبيرق وشهد له جماعة من اليهود. وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاتب اليهودي وأن يقطع يده. فأنزل الله هذه الآية (إنا أنزلنا إليك الآية). ولما نزلت هذه الآيات فر طعمة إلى مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال إني سبيل مستطع به محلوه حتى إذا جن الليل عدا عليهم فنثر قيدهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات مرتدا. (إنا أنزلنا إليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (بالحق لتحكم) لأجل أن تحكم (بين الناس) إذا تخاصموا إليك (بما أراك) علمك وأعلمك (الله) وأوحى إليك من الأحكام فاحكم به (ولا تكن للخائنين) أي لأجل الخائنين وهم قوم طعمة (خصيما) مخاصما ومدافعا عنهم وميينا لهم. والمعنى ولا تتعاون بتحري الحق اغترارا بالمحق الخائنين وقوة صلابتهم في الخصومة فلا تكون خصيما لهم وتقع في ورطة الدفاع عنهم، وهذا الخطاب وإن كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو لكل من يحكم بين الناس بما أنزل الله كما أمر الله. عن أم سلمة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم: إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار. متفق عليه في الصحيحين والسنن. (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودي ومن أنك هممت بالمجادلة عن طعمة. فإن هذا ذنب صورة أو هو من باب (إن الله سبحانه يخاطب عبده بما شاء - أو من باب ذكر الخاص يفيد الجميع من الحكام (إن الله كان غفورا رحيما) لمن استغفر وبمن طلب رحمته.

...نفسهم ۚ إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ۝١٠٧ يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله و...هم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ۚ وكان الله بما يعملون محيطا ۝١٠٨ ها أنتم
هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ۝١٠٩

ولا تجادل عن الذين يختانون) يخونون (انفسهم) هم طعمة ومن عاونه وشهد براءته من قومه لقولهم لنبي جادل عنا فانا برآء فانهم شركاؤه لهم في الاثم والخيانة حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه. يخونون انفسهم بالمعاصي لان وبال خيانتهم تعود عليهم. - ان هؤلاء الخائنين يوجد منهم في كل زمان ومكان. وهذا النهي لم يكن موجها الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وانما هو تشريع وجه الى المكلفين كافة (ان الله لا يحب) لا يتخذ حبيبا (من كان خوانا) كثير الخيانة (اثيما) كثير الاثم. ومنهما فيها ولا يخاف العقاب الالهي عليه، وانما يحب الله اهل الامانة والاستقامة وفي الحديث في علامة المنافق «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان» متفق عن ابي هريرة. (يستخفون) يستترون يخفون اعمالهم القبيحة (من الناس) حياء وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون) يستترون ولا يستحيون (من الله) وهو احق ان يستحيا منه. قال صلى الله عليه وسلم: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا انا نستحي والحمد لله. قال: «ليس كذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وان تذكر الموت والبلى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء». رواه الترمذي من حديث ابن مسعود. (وهو) تعالى (معهم) شاهدهم لا تخفى عليه اسرارهم (اذ يبيتون) يضمرون ويدبرون في صدورهم - ومعنى التبييت في الاصل تدبير الامر ليلا. (ما لا يرضى من القول) الموجب للعذاب لديه من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور لاجل تبرئة انفسهم ورمي غيرهم بجنايتهم (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت شيء منه فلا سبيل الى نجاتهم من عقابه. (ها انتم) يا (هؤلاء) المتعصبين على الباطل - الذين كانوا يدافعون عن طعمة وقومه (جادلتم) خاصمتم خصماءهم (عنهم في الحياة الدنيا) الفانية (فمن) استفهام انكاري تفيد النفي - اي - لا احد (يجادل) يخاصم ويحاجج (الله عنهم يوم القيمة) في اليوم الآخر. (ام من) اي ولا احد (يكون) يقدر (عليهم وكيلا) محاميا بحجتهم. فعلى المؤمنين ان يراقبوا الله تعالى في مثل ذلك ولا يحسبوا ان امكنه الفلح بالحكم له من قضاة الدنيا بغير حق ان يظفر في الآخرة «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله»

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١١ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١١٢

(ومن يعمل سوأ) ذنبا يسوء به غيره كرمى طعمة اليهودى (او يظلم نفسه) بعمل لا ضرر على لا يتعدى الى من عداه (ثم يستغفر الله) بصدق التوبة مما اجتناه (يجد الله غفورا رحيما). وهذه الاية دلت على ان التوبة مقبولة من جميع الذنوب سواء كانت صغيرة او كبيرة. والمراد بالسوء ما يسوء به غيره والظلم ما كان ضرره خاصا بالعامل كترك الفريضة. هذا هو المراد به هنا. (ومن يكسب اثما) ويرتكب معصية عن قصد ويرى انه قد كسبه وانتفع به (فانما يكسبه على نفسه) اذ وبال كسبه هذا على نفسه وضرر جهله بعواقب الآثام السيئة فى الدنيا والآخرة. ومن عواقب غير المأمونة فى الدنيا فضيحة الآثم وهوانه بظهور الامر للناس وللحاكم العادل كما وقع لطعمة وقومه. (وكان الله عليما) بعلمه وقد حدد الشرائع للناس التى يضرهم تجاوزها (حكيما) بحكمته جعل العقاب لمن يتجاوز عن حد الشرائع اذا لم يتب. (ومن يكسب خطيئة) ذنبا صغيرا (او اثما) كبيرا (ثم يرم به بريئا) اى ينسب اليه ويزعم انه هو الذى كسبه ويبرئ نفسه منه كما فعل طعمة مع اليهود (فقد احتمل) كلف نفسه ان يحمل (بهتانا) بافترائه على البرئ وارتهامه اياه. وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم معنى البهتان فى حديث الغيبة، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتدرون ما الغيبة؟». قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: «ذكرك اخاك بما يكره». قيل: افرايت ان كان فى اخى ما اقول؟. قال: «ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». رواه مسلم عن ابى هريرة. (واثما مبينا) بينا ظاهرا. اى فقد احتمل وزر الاثم البين الذى اكتسبه وتنصل منه. وقد فشا هذا بين المسلمين فى هذا الزمان. فالحادثة التى نزلت فيها هذه الايات فى اثر وقوعها كانت فتنة فى بابها. وما زال المفسرون يجزمون بان المسلمين الذين سرقوا وخان بعضهم ونصره آخرون وبهتوا اليهودى بما رموه به بجرمه وهو برئ، لم يكونوا مسلمين الا فى الظاهر وانما هم منافقون فى الباطن. لان مثل هذا الاثم المبين والبهتان العظيم لا يكون من المؤمنين الصادقين.

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما
يضرونك من ش[illegible] وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما ١١٣ لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ١١٤

(ولولا فضل الله عليك) يا محمد بالنبوة والتأييد بالعصمة والحفظ والتكريم (ورحمته) لك التي اقامك ببيان حقيقة الواقع (لهمت طائفة منهم) من الناس الذين يخاتلون انفسهم بالمعصية او بمساعدة الخائن كقوم طعمة يذبون عن طعمة (ان يضلوك) بقولهم الزور وتزكية المجرم وتلبيسهم لك الحق بالباطل (وما يضلون الا انفسهم) باخراجهم عن الصراط المستقيم الذي هداهم اليه الاسلام واتباع الهوى في الحكم بينهم (وانزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) فعته بمقاصد الكتاب واسراره ووجه موافقتها للفطرة وانطباقها على سنن الاجتماع البشري واتحادها جامع مصالح الناس في كل مكان وزمان. (وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور من المعلوم الشرعية والاسرار الفردية والشخصية او من امور الدين والاحكام. (وكان فضل الله عليك) يا محمد (عظيما) لا فضل اعظم من النبوة والرسالة وزادك بما حباك تكريما. قال (لا خير في كثير من نجواهم) من مناجاة الناس وكلامهم فيما بينهم وما يتناجون ويتحاورون (الا) نجوى (من امر بصدقة) واجبة او مندوبة (او معروف) وهو كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل. فيشتمل فيه الجميل وفنون اعمال البر. وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم: الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة وتزيد في العمر وتقي مصارع السوء. اخرجه ابو نعيم في الحلية عن علي رض. فالمعروف اعم من الصدقة (او اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاحنة والمعاداة بينهم. وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم: «الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة» اخرجه احمد ابو داود والترمذي عن ابي الدرداء. وهذا ما لم يكن في احلال محرم او تحريم محلل. قال صلى الله عليه وسلم: الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا» رواه احمد ابو داود عن ابي هريرة. فالنجوى اذن قسمان نجوى للشر ونجوى للخير. فالشر محذور والخير متبوع. وهذه الثلاثة هي جماع الخيرات التي يحتاج فيها الى النجوى. (ومن يفعل ذلك) البر بانواعه (ابتغاء مرضاة الله) طلب رضاه (فسوف نؤتيه اجرا عظيما) من الدرجات العلا في الجنان.

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤ نوله ١١٥
ونصله جهنم وساءت مصيرا ١١٥

(ومن يشاقق) يخالف (الرسول) فيما جاء به من الحق (من بعد ما تبين) وظهر له بالمعجزات (الهدى) على لسانه صلى الله عليه وسلم الذى لاشك فيه كطلعة حيث ارتد لما حكم عليه الرسول بالقطع وهرب الى مكة (ويتبع غير سبيل) طريق (المؤمنين) الذين لهم اهل الهدى وانما سبيلهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماعهم على الحق (نوله ما تولى) اى نجعله متوليا لما تولى من الضلال ونكله الى ما تولاه واختاره فى الدنيا- ويصدق عليه قوله تعالى: «افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ افلا تذكرون» (ونصله) وندخله (جهنم) دار الغضب والعذاب فى العقبى .- قرأ ابو عمرو وحمزة نوله ونصله باسكان الهاء فيهما والباقون بالصلة.

المغزى - قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى» الناس فى اتباع الهدى وتركه من بعد وضوح الدليل والرشد بالمعجزات اولا اصناف - (الاول) من تبين له الهدى بالبرهان الصحيح ووصل فيه الى حق اليقين وعين اليقين. وهذا لا يمكنه ان يرجع عنه اعتقادا ويندر جدا ان يرجع عنه عملا. (الثانى) من تبين له الهداية بالدلائل المعتادة بحسب افهامهم وعقولهم لا بالبرهان العقلى المؤلف من اليقينيات وهؤلاء لا يرجعون عن الهدى الى الضلال. (الثالث) من اتبع الهدى تقليدا لمن يثق به من الناس كآبائهم وخاصات اهل رؤسائهم. وهذا لا يدخل فيمن تبين لهم الهدى والحق. ويتركون الهدى الى كل ما يعرضهم عليه رؤساؤهم من البدع والضلالات. (الرابع) من لم يتبع الهدى لانه نشأ فى تقليد اهل الضلال فلما دعى الى الهدى والدين لم ينظر فى دعوة النبى الذى ندعى الى دينه. ولا تأمل فى دليله لانه صدق الرؤسا الذين قلدهم. وانه ليس اهلا للاستدلال. (والخامس) من بلغتهم دعوة الهدى فنظروا فيها ولم تظهر لهم حقيقتها ولا تبينت لهم هدايتها فتركوها وتركوا العادة النظر فيها. هذه هى بعض اصناف الناس فى الهدى والضلال. ولا يصدق على الهدى الا الاول والثانى. وقوله: (ويتبع غير سبيل المؤمنين .- اذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين ممنوعا كان اتباع سبيلهم واجبا. هذا دليل على حرمة مخالفة الاجماع - وان الاجماع من الادلة الشرعية، وقد علمنا ان الاجماع الذى يعتد به هو اتفاق مجتهدى هذه الامة بعد وفاة نبيها فى اى عصر على اى امر.

إن الله
إن يدعون من دو
نصيبا مفروضا ١١٨

(ان الله لا يغفر ان يشرك به) اى اذا مات على الشرك البتة، لقوله تعالى: «قل للذين ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (ويغفر ما دون ذلك) الشرك من الذنوب (لمن يشاء) ان يغفر لهم فلا يعذبهم عليه. فى الخبر من حديث القدسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: قال الله تعالى: يا ابن آدم مهما عبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان فيك واذا استقبلتنى بملء السموات والارض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلهن مغفرة واغفر لك ولا ابالى» رواه البيهقى والشيرازى عن ابى الدرداء. وعنه قال: يقول الله تعالى: «الحسنة بعشر امثالها او ازيد والسيئة واحدة او اغفرها ولو لقينى عبدى بقراب الارض خطايا لم يشرك بى لقيته بقرابها مغفرة» رواه مسلم عن ابى ذر. وقرابها: ملؤها. وقيل: جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة وما توهمت طرفة عين انى اعجزه هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله سبحانه وتعالى؟ فنزلت. (ومن يشرك بالله) يجعل معه شريكا يدعوه معه ويذكر اسمه مع اسمه او يدعوه من دونه (فقد ضل) عن الهدى (ضلالا بعيدا) عن الحق يؤدى به الى النار. انهم (ان يدعون) ما يعبد المشركون (من دونه) من غير الله لقضاء حاجهم وتفريج كروبهم (الا اناثا) كاللات والعزى ومناة. وكان لكل قبيلة صنم يسمونه انثى بنى فلان. قال الشيخ سهل التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ هجرية فى تفسيره: «ان يدعون من دونه الا اناثا» يعنى اصواتا وهو الحجارة والحديد. (وان يدعون) يدعونها ويعبدون بعبادتهم لها (الا شيطانا مريدا) الشيطان يطلق على العارم من الشر من الموذى الفاسق «الخبيث من الجن والانس. والمريد المتعرى من الخيرات. الشجر المريد المتعرى من الورق ... فاتباع الشيطان سبب فى عبادة الاوثان وعبادة الاوثان سبب لترك التوحيد المبنى عليه تفريق الالفة وتشتيت الشمل. (لعنه الله) دفعه الله عن رحمته وابعده الله عن مواقع فضله (وقال) الشيطان (لاتخذن) لأغوين (من عبادك نصيبا) حظا (مفروضا) معينا. فاسلك بهم سبيلى.

ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فل... ق الله ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ١١٩ .

ولافقين فى تلويحهم
١ ادعوهم الى طاعتى (ولاضلنهم) عن سبيل الحق والهدى (ولامنينهم) الاماني الفاسدة الباطلة
كطول حياتهم فى الدنيا وبلوغ الآمال وان لابعث ولاعقاب (ولامرنهم) لاضلالهم بنوع آخر (فليبتكن)
فليقطعن فليشقن (آذان الانعام) لتحريم ما احل الله. وقد فعل العرب بالبحائر يشقون اذان الناقة اذا
ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وسموها بحيرة وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتركوها ويجعلون لبنها للطواغيت
ويجعلون شق الآذان علامة، وغير ذلك السائبة والحام. (ولامرنهم) بنوع آخر من الاضلال (فليغيرن خلق الله)
عن وجهه وصورته اوصفته - بنفى الانصاب واستلحاقها اوبتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم اوبالتحليل
او بالتخنث، وعبادة الشمس والقمر والحجر والشجر وغير ذلك. وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن
الفقهاء رخصوا فى خصاء البهيمة للحاجة. اوبتبديل فطرة الله التى هى دين الاسلام لقوله تعالى:
«لاتبديل لخلق الله». وقال المفسرون فى تفسير معنى خلق الله وانه حرام وذهبوا مذاهب ترجع الى
وصل شعر او وشم الجلد من التغابى من نحو ما قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم: «لعن الله
الواشمات والمستوشمات والناصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» رواه
الامام احمد والشيخان عن ابن مسعود. صح - وقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة
والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والناصة والمتنمصة» رواه البخارى ومسلم وغيرهما.
اما الواشمات من الوشم. وهو ان تغرز ابرة ثم تحشو ابرا وخدا. بنيل الدم ويحشى بنحو نيلة او
صبر - فيتنجس بالدم ثم يجمد ويلتئم الجرح فيبقى لحاله اخضر او اسود. واما الناصات من النمص
وهو ازالة شعر الوجه بالمنماص - والمنقاش وتعرف بالملقاط او المنتف. وقيل هو ازالة
خصوص شعر الحاجبين حتى برو استويا. واما المتفلجة من التفليج وهو ان تحدد ما بين
الثنايا والرباعيات وهى ما بين الثنايا والانياب. واما الواشرة وهى التى تحدد الاسنان
وترققها بنحو المبرد. واما الواصلة فالتى تصل الشعر بشعر آخر سواء افعلت ام لغيرها.
(ومن يتخذ الشيطان) بجعله (وليا) له يتولاه ويطيعه باتيان ما يدعوه اليه (من دون الله) اى
غير الله (فقد خسر خسرانا مبينا) بينا ظاهرا فى معاشه ومعاده بتضييع راس ماله الفطرى.
وذلك لان طاعة الله تفيد المنافع الدائمة عن شوائب الضرر وطاعة الشيطان تفيد
المنافع القليلة المنقطعة المشوبة ويعقبها العذاب الاليم.

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
WIKISOURCE LOVES MANUSCRIPTS
QP Card 101 v4

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

اخبر الله حال الشيطان لمن يتخذونه وليا ويطيعونه باينار ما يدعوهم اليه ويتبعونه وسوسته قال:
(يعدهم) الشيطان وعدا لا يجدونه ولا ينجزه وطول العمر (ويمنيهم) اماني لا يدركونها ولا ينالون
من نيل الامل في الدنيا وان لا بعث ولا جزاء. قال الله تعالى في سورة البقرة: «الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا» اي يعد الناس الفقر اذا هم
انفقوا شيئا من اموالهم في سبيل الله، فانه يعد من يريد التصدق الفقر ويوسوس اليه قائلا:
ان مالك ينفد او يقل فتكون فقيرا ذليلا. وكذلك يعد من يغريه بالتعصب لمذهبه وايذاء
مخالفه فيه من اهل دينه الجاه والشهرة وبعد الصيت، ويدخل في وعد الشيطان وتمنيته ما يكون
من اوليائه من الانس وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي ويعدونهم
بالمال والجاه ويمدونهم في الطغيان. وهؤلاء موجودون في كل زمان ويعرفون
بمقاصدهم. (وما يعدهم الشيطان) بذلك (الا غرورا) باطلا لا اصل يغترون به ولا يملكون
منه ما يحبون. والغرور اظهار النفع فيما هو ضار في الحال او المآل كشرب الخمر والزنا والقمار
وغير ذلك (اولئك) اولياء الشيطان (ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا
يفرون اليه. ثم بين الله وعده للمؤمنين عقب بيان وعد الشيطان للكافرين على سنة القرآن
في قرن الوعد بالوعيد. قال: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ابتغاء مرضاة الله ورحمته
(سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) لا يخرجون منها (وعد الله) وعدهم بذلك
وحقه (حقا) لا شك فيه. (ومن اصدق) لا احد اصدق (من الله قيلا) قولا ووعدا فلا
قيل اصدق من قيله ولا وعد احق من وعده. وهو القادر على ان يعطي كل ما وعد به.
واما الشيطان فوعده باطل وغير حق وقوله كذب وزور لانه يقول ما لا يعلمه ويبطل
اولياءه بغرور. جاء في هذه الايات ان الشيطان مريد اي عات خارج عن الطاعة وانه
يقسم ان يتخذ له من عباد الله جماعة من نصيبه ويجعلهم من حاشيته فان امرهم
اطاعوه وان وعظهم بالوسوسة استمعوا له. وان قال ايها الناس قطعوا آذان الانعام فعلوا
او غيروا خلق الله بتشويه ووصل الشعر وتعطيل العقول اخذوا اليه واطمانوا.

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له ... وليا ولا
نصيرا ﴿١٢٣﴾ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
نقيرا ﴿١٢٤﴾ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ
الله إبراهيم خليلا ﴿١٢٥﴾ ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ﴿١٢٦﴾

(ليس) ما وعد الله من الثواب منوطا وتنال (بأمانيكم) أيها المسلمون (ولا أماني أهل
الكتاب) وإنما ينال بالعمل الصالح مع الإيمان الخالص. قيل: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر
في القلب وصدقته العمل. روى غير واحد عن مجاهد أنه قال: قالت العرب: لا نبعث ولا
نحاسب. وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وقالوا لن تمسنا
النار إلا أياما معدودات. فأنزل الله «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب» وعن ذلك من الروايات
في سبب نزول هذه الآية. (من يعمل سوءا) من مؤمن وكافر (يجز به) إما في الآخرة حتما في حق
الكافر وعند عدم التوبة في حق المؤمن، أو في الدنيا بالبلاء والمحن، لأن الجزاء بحسب سنة
الله أثر طبيعي للعمل. وقد ورد في التفسير المأثور أن هذه الكلية العامة «من يعمل سوءا يجز به»
ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لما نزلت: «فمن ينجو مع هذا يا رسول الله؟
فقال له صلى الله عليه وسلم: «ألا تحزن - ألا تمرض - ألا يصيبك اللأواء» أي البلاء
قال: بلى يا رسول الله. قال: فهو ذلك. وفي الحديث «المصائب والأمراض والأحزان
في الدنيا جزاء» سعيد بن منصور - وأبو نعيم عن مسروق - مرسلا. عن. ان من يعمل السوء تكون
عاقبته شرا (ولا يجد له من دون الله) أي من غيره (وليا) يحفظه ويتولى أمره
(ولا نصيرا) ينصره ويعضده مما حل به. لا من الأنبياء ولا من غيرهم من المخلوقات. وإنما المدار
في النجاة على الإيمان والأعمال (ومن يعمل من الصالحات) التي تصلح بها النفوس (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)
خالص لوجه الله (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) من أجور أعمالهم بقدر النقرة التي في ظهر
النواة (ومن أحسن) لا أحد أحسن (دينا) يتدين به (ممن أسلم) وتدين وأخلص (وجهه) وعمله
(لله) بالإسلام (وهو محسن) متخلق بخلق حسن في معاملته (واتبع ملة إبراهيم حنيفا) مائلا إلى
الحق والدين القيم ثابتا قائما على الاتحاد والاتفاق وعدم التفرق فيه والتعادي بين
أهله. (واتخذ الله) واصطفى (إبراهيم خليلا) صافيا خالص المحبة (ولله ما في السموات والأرض)
يتصرف فيها كيف يشاء (وكان الله بكل شيء محيطا) علمه لا يغيب عنه شيء فيها.

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

ويستفتونك قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا
تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى
بالقسط ط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما ١٢٧

(ويستفتونك) ويطلب منك جماعة من قومك يا محمد (في النساء) وفي ميراثهن وحقوقهن المالية والزواج والنشوز والخصام والصلاح والعدل والعشرة والفراق. وكلها في اربعة ايات. وسبب النزول - روى ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال اخبرنا انك تعطي تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة. فقال عليه الصلاة والسلام: بذلك امرت. (قل الله يفتيكم فيهن) وميراثهن وقد بين في الايات المتقدمة والافتاء تبيين المبهم (و) يفتيكم في شأنهن (ما يتلى عليكم في الكتاب) اي اللوح المحفوظ او القرآن من اية الميراث يفتيكم ايضا (في) معاملة (يتامى النساء) اي في النساء اليتيمات (اللاتي) جرت عادتكم (لا تؤتونهن) تعطونهن (ما كتب) فرض (لهن) في الميراث اذا كان في ايديكم لولايتكم عليهن. (و) اللاتي (ترغبون) ايها الاولياء لهن (ان تنكحوهن) ان كن جميلات لتأكلوا وتتمتعوا باموالهن. او تعضلوهن حتى ان يتزوجن فلا تنكحوهن لدمامتهن ولا تنكحوهن طمعا في اكل اموالهن. روى مسلم عن عائشة قالت: هذه اليتيمة كانت في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن. قالت عائشة: فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزل الله عز وجل «ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن» فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق. واذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها. (و) ما يتلى عليكم ايضا في (المستضعفين) الصغار والمرأة واليتيم (من الولدان) فالكل من المستضعفين ان تعطوهم حقوقهم من الميراث. (و) يفتيكم ويأمركم ايها الائمة والاولياء (ليتامى) من هؤلاء المستضعفين (بالقسط) والعدل في الميراث والمهر. وتعنوا عناية خاصة في معاملتهم (وما تفعلوا) معهن (من خير) لليتامى بتحسين معيشتهم والزيادة في قسطهم قل او كثر (فان الله كان به عليما) كسائر اعمال الخير. وهذا ترغيب في الاحسان الى اليتامى وتكميل مراتب معاملتهم وهي: اولاها بعدم شيء من حقوقهم - وهي المحرمة السفلى. والثانية القيام بالقسط والعدل التام بان يظلموا من حقهم شيئا وهي الواجبة الوسطى. والثالثة الزيادة في برهم واكرامهم بما ليس لهم من مال وما لا يجب لهم من الاعمال وهي المندوبة العليا.

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ
وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

سبب النزول - روى ان عمرة بنت محمد بن مسلمة واسمها خولة كانت تحت رافع بن خديج وهي شابة. فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى. فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. (وان امرأة خافت) خشيت (من بعلها) وتوقعت من زوجها (نشوزا) ترفعا عليها لبغضها او ظهور بعض اسبابه (او اعراضا) عنها بان ثبت لها ذلك (فلا جناح) اثم (عليهما) على الزوج والزوجة (ان يصلحا) قرأ عاصم والحمزة والكسائي بفتح الياء واسكان الصاد من اصلح يصلح اصلاحا. وقرأ الباقون يصّالحا بفتح الياء والصاد مشددة وبعدها الف من تصالح يتصالح وادغمت التاء في الصاد: فلا جناح عليهما ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما في القسم والنفقة كان تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة والمبيت معها او بحقها كله فيهما او في احدهما لتبقى في عصمته مكرمة. روى، كانت عائشة رضي الله عنها تقول: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لي، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لي يومين، يومي ويوم سودة، وكانت رضي الله عنها تقول في قوله تعالى: «وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا» هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسم لي، فذلك قوله تعالى: (فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) ناشئا عن التراضي من الجانبين ولا يؤدي امرهما الى الفرقة والطلاق. (والصلح خير) من النشوز والفرقة والطلاق. (واحضرت الانفس الشح) والشح شدة البخل، اي قد صارت الانفس الامارة بالسوء من الجانبين مطبوعة على احضار الشح والبخل فيما وجب عليها. المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح ويجود عليها بنصيبه اذا احب غيرها، فلا يسمح كل منهما شيئا من حقه لذلك لم يرتفع النزاع والخصومة. فينبغي لكل منهما ان يتذكر بما لا ينبغي ان لا يبخل بذله والتسامح فيه لاجل المصلحة فان من اتبع البخل ان يبخل احد الزوجين في سبيل مرضاة الآخر بعد ان افضى بعضها الى بعض بل ينبغي ان يكون التسامح بينهما اوسع من ذلك. (وان تحسنوا) العشرة فيما بينكم بالاقامة على نسائكم (وتتقوا) النشوز والاعراض وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة (فان الله كان بما تعملون خبيرا) وانه يجزي الذين احسنوا منكم بالحسنى والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى. وقد اوجبت الشريعة المحمدية على الرجال من الاحسان الى النساء بالمعاشرة والصبر على سوء اخلاقهن. في الحديث «خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي» الترمذي عن عائشة. ابن ماجه عن ابن عباس.

كشف الغمة ج ٢ ص ٧٤٥

ولن تستطيعوا ... بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ۚ وإن تصلحوا
وتتقوا فإن الله ... غفورا رحيما ﴿١٢٩﴾ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته ۚ وكان الله واسعا حكيما ﴿١٣٠﴾

هذه فقرة اخرى المستفتون عنها هم الذين كان عندهم زوجتان او اكثر. كان الله
يقول: ولما حرصتم على ان تجعلوا المرأتين كالغرارتين المتساويتين في الوزن - وهو حقيقة معنى
العدل - (ولن تستطيعوا) اي لن تعدلوا (ان تعدلوا بين النساء) العدل الحقيقي بحرصكم
عليه ولو قدر تم عليه لما قدرتم على ارضائهما به ولو بالقسم فيه. فالورع انه يعدل بين امرأتيه
في الاعمال والاقوال حتى في احوال النفس والبشاشة والنظر والتمتع بها. وانه لما يتعذر
عليه ذلك خفف الله بوجهته على المتقين قال: (فلا تميلوا كل الميل) الى المحبوبة وتتبعوا
اهواء انفسكم وتجوروا على المكروهة المماثل بعضها (فتذروها كالمعلقة) بين السماء والارض
اي تتركوهما كأنها غير متزوجة وغير مطلقة. بل الواجب عليكم اداء ما لهما من الحقوق كالتسوية
في النفقة والكسوة والمبيت لا في المحبة فانها لا تملك. ولا تجب التسوية بينهن في الوطء لانه
موقوف على المحبة والميل وهما بيد مقلب القلوب. وقد كان رسول الله يعدل في القسم بين نسائه
ويقول: "اللهم هذا قسمي فيما املك ولا تؤاخذني فيما تملك ولا املك" يعني بذلك القلب.
وعلى هذا ان ما لا يدرك كله لا يترك كله. وفي الحديث: اذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل
بينهما جاء يوم القيمة وشقه ساقط" رواه الترمذي والحاكم عن ابي هريرة (صحيح). ويجب عليه ان
يعدل بين الزوجات المتساويات بمأكول وملبوس. فلو كانت احداهن غنية والاخرى فقيرة فلا تلزم
التسوية في النفقة كما لا تجب في محبة. وكان صلى الله عليه وسلم يعطي كل زوجة من نسائه
ثمانين وسقا كل عام من التمر وعشرين وسقا من الشعير. (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون في معاملة
النساء فتعدلوا في القسمة (وتتقوا) في الآتي المستقبل من الزمان ظلمهن وجورهن وتفضيل
بعضهن على بعض (فان الله كان غفورا) لما في قلبكم من الميل (رحيما) بكم برحمته الواسعة (وان
يتفرقا) اي الزوجان اللذان يخاف ان لا يقيما حدود الله بالطلاق كالذي يكره امرأته لدمامتها او كبرها
ويريد ان يتزوج غيرها ولم يتفق معها على شيء يرضيان به، او كالذي عنده زوجان لا يقدر ان يعدل بينهما
ولا تسمح له المرغوب عنها بشيء من حقوقها بمقابل ولا غير مقابل فيفرق بينهما (يغن الله كلا) منهما
عن صاحبه (من سعته) وفضله تعالى. بان يرزقها زوجا غيره خيرا منه يقوم لها بحقوقها. ويرزقه
غيرها خيرا منها تحصنه وترضيه فيستقيم امر بيته. (وكان الله واسعا) لخلقه في الفضل والرحمة (حكيما)
فيما دبره لهم

وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۭ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِ[illegible] اِنِ اتَّقُوا
اللّٰهَ ۭ وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيْدًا ١٣١ وَلِلّٰهِ مَا
فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۭ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيْلًا ١٣٢ اِنْ يَّشَاْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاْتِ بِاٰخَرِيْنَ ۭ
وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰي ذٰلِكَ قَدِيْرًا ١٣٣ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ ۭ
وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًۢا بَصِيْرًا ١٣٤ ۝

(ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا فبامره وجد ما كان نظام العالم والاكوان وله وحده التدبير والتكليف الذي ينتظم به امر الانسان. (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب) الكتب عليهم (من قبلكم) من اليهود والنصارى وسائر الامم الكتابية، وصيناهم (واياكم) اهل القرآن (ان اتقوا الله) تحلوا بخشيته وادبوا ملازمة تقواه. وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم: من اصبح وهمه التقوى ثم اصاب فيما بذا ذنبا غفر الله له. رواه ابن عساكر عن ابن عباس (رض). (وان تكفروا) نعمه عليكم وتتركوا تقواه الذي اوصاكم به (فان لله ما في السموات وما في الارض) فلا ينفعه كفركم. وفي الحديث القدسي الطويل: «يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ. يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيأ». رواه مسلم وابو عوانة عن ابي ذر. الى آخر الحديث. (وكان الله غنيا) عن خلقه وعبادته (حميدا) محمودا في صنعه بهم. (ولله ما في السموات وما في الارض) كرره تاكيدا لتقرير موجب التقوى بكونه مالك السموات والارض. (وكفى بالله وكيلا) يكفي من توكل عليه في تدبير امور الكل وكل الامور، فيجب ان يكتفوا به في التوكل لهم. (ان يشأ يذهبكم) يفنيكم بعقاب ينزله بكم او امة قوية يسلطها عليكم فتسلب استقلالكم وتاخذ استقلال ارضكم (ايها الناس ويات) بقوم (آخرين) مكانكم يحلون محالكم في الوجود او الحكم او التصرف. يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على سلمان الفارسي وقال: انهم قوم هذا يريد ابناء فارس. والظاهر انها تنبيه للناس. (وكان الله على ذلك) من اذهابكم وايجاد آخرين (قديرا) وبيده ملكوت السموات والارض (من كان يريد) بطلب بعلمه وعمله (ثواب الدنيا) كان يجاهد لاجل الغنيمة او يقرأ العلم لاجل ان يجمع الناس عليه (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فليطلبهما جميعا كمن قال: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ولا يكتف بالادنى الفاني (وكان الله سميعا بصيرا)

يا أيها الذين ... قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين
إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن
الله كان بما تعملون خبيرا ١٣٥

روى ابن جرير عن السدى فى الاية، قال: نزلت - ان غنيا وفقيرا اختصما الى النبى صلى الله عليه
وسلم فكان حلفه مع الفقير لانه يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فابى الله الا ان يقوم بالقسط
فى الغنى والفقير. فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير (يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين) اى قائمين مواظبين (بالقسط) العدل. والمراد بالقوامين بالقسط الذين يقومون
العدل بالاتيان به على اتم الوجوه. والمراد بالقسط العدل وهو يكون فى العمل كالقيام بما يجب من
العدل بين الزوجين والاولاد. ويكون فى الحكم بين الناس بمن يوليه السلطان او يحكمه الناس
فيما بينهم. وكان ينبغى ان يكون المسلمون بمثل هذه الهداية اعدل الامم واقومهم بالقسط. وكذلك
كانوا عندما كانوا مهتدين بالقرآن (شهداء لله) اى كونوا شهداء بالحق مخلصين لله. بان تكون
الشهادة لله ان يتحرى فيها الحق الذى يرضاه ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لاحد (ولو على
انفسكم) كانت شهادتكم فاشهدوا عليها بان تقروا بالحق ولا تكتموه. ومن اقر على نفسه
بحق فقد شهد عليها (او الوالدين والأقربين) اى اقرب الناس اليكم كاولادكم واخوتكم
فانه ليس من بر الوالدين ولا من صلة رحم الاقربين ان يعانوا على ما ليس لهم بحق. وانما البر
والصلة فى الحق والمعروف - والحق احق ان يتبع - فالمحاباة فى الشهادة من اسباب
فشو الظلم والعدوان المفسدة ضررها عام وان كانت لمصلحة يريدها المحابى نفع الله
او الشفقة على فقير او العصبية على غنى ولذلك قال تعالى (ان يكن) المشهود عليه
(غنيا) ذا ثروة (او فقيرا) مسكينا. فلا تجوروا فيها ولا تميلوا ميلا (فالله اولى) منكم
(بهما) بالغنى والفقير - واعلم بمصالحهما. وشرع الله احق ان يتبع فيها (فلا تتبعوا الهوى)
فتجوروا فى الشهادة وتميلوا عن الحق (وان تلووا) السنتكم ليا بالشهادة اى تغيروا الشهادة
وتحرفوها. من لوى يلوى - والاصل تلويوا. وقرأ ابن عامر وحمزة تلوا بضم اللام وسكون
الواو على وزن تقوا من الولاية. اى وان وليتم عن الشهادة (او تعرضوا) عنها فلا تؤدوها
او تجحدوها او تكتموها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا.
وفى الحديث: «من كتم شهادة اذا دعى لها كان كمن شهد بالزور» رواه الطبرانى عن ابى موسى - ض -

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من
قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ١٣٦ إن الذين
آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ١٣٧

روى الثعلبي عن ابن عباس. ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب
وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابني أخيه ويامين بن يامين اذ أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل. فقال: بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن
وبكل كتاب كان قبله. فقالوا: لا نفعل. فنزل (يا أيها الذين آمنوا) نزلت في أهل الكتاب والخطاب
لكافة المسلمين (آمنوا) اى أثبتوا والزموا وداوموا على ايمانكم (بالله) والاقرار له بالوحدانية
(ورسوله) محمد بانه الرسول الحق (والكتاب) اى القرآن (الذي انزل على رسوله) محمد صلى الله عليه
وسلم (والكتاب) اى الكتب (الذي انزل من قبل على الرسل - واجمعوا بين الايمان بالله وبرسوله
الاعظم خاتم النبيين والقرآن الذي نزله عليه وبين الايمان بجنس الكتب التي نزلها على رسله
من قبل بعضة خاتم النبيين، بان تعلموا ان الله قد بعث قبله رسلا وانزل عليه كتبا وانه لم
يترك عباده في الزمن الماضي سدى محرومين من البينات والهدى. ولا يقتضي ذلك ان يقروا
اعيان تلك الكتب ولا ان تكون موجودة الآن ولا ان يكون الموجود منها صحيحا غير محرف.
(ومن يكفر بالله) ويجعل له شريكا (وملائكته) فيقدح فيهم وفي اوصافهم واسمائهم (وكتبهم فينكرها
او ينكر احكامها (ورسله) فيكذبهم او يؤمن بالبعض ويكذب البعض (واليوم الآخر) ينكر البعث
والحساب والعقاب المعد للجزاء. (فقد ضل) عن طريق الهدى والنجاة (ضلالا بعيدا) عن الحق
بحيث لا يتمنى هدايته وفلاحه اصلا. - من يضلل فلا هادي له - ونزل في المنافقين (ان الذين
آمنوا) اى اليهود الذين امنوا بموسى (ثم كفروا) حين اتخذوا العجل وعبدوه (ثم آمنوا) بعد
عود موسى عليهم (ثم كفروا بعيسى المسيح (ثم ازدادوا كفرا) بتكذيبهم نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم - تدل الاية ان المنافقين: آمنوا بالله. ثم كفروا بعد الايمان. ثم آمنوا بألسنتهم
باظهار الايمان لتجري عليهم احكام المؤمنين. ثم ازدادوا كفرا بموتهم على الكفر - او ازدادوا
كفرا بالاصرار على النفاق وعلى التمادي في افساد الامر على المؤمنين - فهم على سنة الله
(لم يكن الله ليغفر لهم ما قاموا عليه (ولا ليهديهم سبيلا) الى الحق. بل تقبل توبتهم اذا آمنوا
بعد ايمانا صادقا صحيحا لقوله تعالى: «وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»

ابني

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ١٣٨ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ط
أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ١٣٩ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات
الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ط إنكم إذا مثلهم إن الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ١٤٠

(بشر) وضع مكان أنذر. والغالب في استعمال البشارة في الاخبار بما يسر. وتستعمل فيما يسوء من باب
التهكم - التلبي. اى اخبر يا محمد (المنافقين) الذين يظهرون الايمان ويخفون الكفر (بان لهم عذابا اليما)
مؤلما هو عذاب النار (الذين يتخذون الكافرين) بالله ورسوله المخالفين للمؤمنين (اولياء) وانصارا
(من دون المؤمنين) ويتركون ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ويطلعونهم اسرار المؤمنين.
لاعتقادهم ان الدولة ستكون لهم وان ملك محمد سيزول. (أيبتغون) يطلبون بذلك (عندهم
العزة) اى (يطلبون ان يتعززوا بموالاتهم ومودتهم - ان كانوا يريدون عندهم العزة وهى المنعة
والغلبة ورفعة القدر ليست العزة لهم فلا يجدونها عندهم (فان العزة لله جميعا) وللاولياء
في الدنيا والاخرة فهو يؤتيها من يشاء - لا يتعزز الا من اعز الله - وقد كتب العزة لاوليائه
قال الله تعالى «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون». ايها المسلمون
(وقد نزل عليكم في الكتاب) القرآن بمكة لما كان المشركون بمكة يستهزؤن في ايات الله والقرآن
انزل عليهم في المدينة عن مجالستهم وهو قوله في سورة الانعام «واذا رايت الذين يخوضون في ايتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره». ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل
المشركين فكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم فنهى الله المؤمنين على القعود
على الاطلاق (اذا سمعتم ايات الله) القرآن (يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره) اى في حديث الكفر والاستهزاء. ويدخل في هذه الاية كل
محدث في الدين وكل مبتدع كما روى عن ابن عباس. وفي هذه الاية دليل على اجتناب
كل موقف يخوض فيه اهله بما يغيض النفوس والاستهزاء الادلة الشرعية كما يقع كثيرا
ممن نزلوا مذاهب ائمتهم منزلة معالم الشريعة وجعلوا راى شيخه وامامه مقدما
على الله وعلى كتابه وعلى رسوله. فانا لله وانا اليه راجعون (انكم) ان قعدتم معهم
(اذا) تكونوا (مثلهم) وسوكاءيهم في كفرهم - ان الرضا بالكفر كفر. (ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) كما كانوا اجتمعوا جميعا في الدنيا على الاثم والاستهزاء
بالدين الحنيف.

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿١٤١﴾ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى
الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ﴿١٤٢﴾ مذبذبين بين ذلك لا
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴿١٤٣﴾

(الذين يتربصون) ينتظرون (بكم) ايها المؤمنون الامور التى تدور وتحدث من الحوادث من خير وشر
(فان كان لكم فتح) نصر (من الله) وظفر تم وغنم (قالوا) لكم (الم نكن معكم) فى دينكم مظاهرين
لكم ونحن نشارككم مما غنمتم. (وان كان للكافرين نصيب) من التغلب والظفر منوا عليهم (قالوا لهم
(الم نستحوذ) نستولى (عليكم) ونقدر على قتالكم وسبيكم فتركناكم ورحمنا (ونمنعكم) ونحميكم (من) قتل
(المؤمنين) لكم بتخذيلهم ومراسلتنا لكم باخبارهم واسرارهم فاعطونا مما اصبتم من الغنيمة (فالله يحكم
بينكم) وبين اعدائكم (يوم القيمة) فيدخل الله لاولياءه دعواهم التى يدعونها عند النصر والفتح انهم منكم
فيدخلكم الجنة ويدخلهم النار (ولن يجعل الله) من فضله (للكافرين سبيلا) اى حجة يوم القيامة. وهو عام
فكل سبيل للكافرين على المؤمنين باطل من كل جهة. وانما غلب الكافرون المسلمين فى الحروب والسياسة
واسبابها العلمية والعملية من حيث هم كافرون بل من حيث انهم صاروا اعلم بسنن الله فى
خلقه واحكم محالا بها. والمسلمون تركوا ذلك كما علمت فليعتبر بذلك المعتبرون. (ان المنافقين
يخادعون الله) ورسوله باظهار خلاف ما ابطنوه ليبيحوا عنهم احكامه الدنيوية فيعاملون
ما يفعله المخادع (وهو خادعهم) بجعل خداعهم عليهم لا لهم. وكم من منافق كانت خيانته
لامته ومساعدة اعدائها سببا لهلاكه بايدى هؤلاء الاعداء. ويقولون لو كان فى هذا خير لكان
قومه اولى بخيره منا ونحن اعداؤه واعداء قومه. فان كان قد خانهم فستكون خيانته لنا
اشد. (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين لا رغبة تبعثهم ولا نشاط لانهم لا يرجون
ثوابا فى الاخرة (يراءون الناس) يبتغون ان يراهم الناس المؤمنون فيعدوهم منهم (ولا يذكرون
الله) فى صلاتهم (الا قليلا) اذا ما ركتهم الصلاة وهم مع المؤمنين فهم يصلون. لعنة منافقى الصدر
الاول. ومنافقو هذا الزمن الاخير شر منهم لا يقومون الى الصلاة البتة. ولا يرون للمؤمنين
قيمة فى دنياهم. (مذبذبين) مضطربين مترددين (بين ذلك) اى بين الكفر والاسلام (لا الى هؤلاء)
لا منسوبين الى المؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا الى الكافرصافين (ومن يضلل فلن تجد له) يا محمد (سبيلا)
للهداية برأيك واجتهادك.

يا أيها الذين [illegible] تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا ﴿١٤٤﴾ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴿١٤٥﴾ إلا الذين
تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت
الله المؤمنين أجرا عظيما ﴿١٤٦﴾ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ﴿١٤٧﴾

(يا أيها الذين آمنوا) المتصفين بالإيمان (لا تتخذوا الكافرين أولياء) تتولونهم وتوالونهم أموركم،
الأولياء جمع ولي من الولاية وهي النصرة. والمراد هنا النهي بالقول والفعل فيما يأتي في
مصلحة المؤمنين (من دون المؤمنين) فإن ذلك فعل المنافقين [illegible] نهى الله المؤمنين أن
يتخذوا لبعض ضعفائهم حذو المنافقين في ولاية الكافرين يبتغون عندهم العزة ويرجون
منهم المنفعة. يدل أن الولاية لنا ولاية النصرة لليهود والنصارى الذين كانوا محاربا
للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يشمل من ليسوا كذلك كالذميين إذا استخدمهم الدولة في
أعمالها. وقد استخدمهم الصحابة في الدواوين الأميرية. والعباسيون جعلوا استخدام
الصابي وزيرا (أتريدون أيها المخبرون (أن تجعلوا لله عليكم) يوم القيامة (سلطانا) حجة وبرهانا
(مبينا) بينا ظاهرا على استحقاقكم لعذابه. (إن المنافقين) جزاؤهم (في الدرك) القعر (الأسفل)
الأخير (من النار) النار لها سبع دركات أي الطبقات (ولن تجد لهم نصيرا) يمنعهم ويخلصهم
من عذابها (إلا الذين تابوا) من النفاق والكفر (وأصلحوا) سرائرهم (واعتصموا بالله) وأحسنوا
معاملته (وأخلصوا دينهم لله) بأن يتوجهوا إليه وحده لا يطلبوا أحدا سواه (فأولئك مع
المؤمنين) فيما أعد لهم في الدارين (وسوف يؤت) يعطي الله المؤمنين) في الآخرة
(أجرا عظيما) لا يعرف أحد كنهه من الدرجات العلا في الجنان والنظر إلى وجه الرحمن.
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. — ورسم يؤت بدون ياء وهو
مضارع مرفوع فحقه إثباتها لفظا وخطا إلا أنها حذفت في الأصل لالتقاء الساكنين
فجاء الرسم تابعا للفظ. والقراء يقف عليه دون الياء اتباعا للخط. (ما يفعل) ما استفهامية
إنكاري في محل نصب بيفعل والمعنى: لا يفعل (الله بعذابكم) أيها المعرضون عن جنابه (إن شكرتم)
نعمه (وآمنتم) به واتبعتم هداه — وإنما ذلك جزاء كفرهم بنعم الله عليهم بالحواس والعقل
والوجدان والجوارح باستعمالها في غير ما خلقت لأجله من الاهتداء. وقدم الشكر هنا على الإيمان
لأن معرفة المنعم والشكر طريق إلى معرفة المنعم والإيمان به (وكان الله شاكرا) لمن أخلص (عليما) بحالهم.

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴿١٤٨﴾ ... خيرا او تخفوه
او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ﴿١٤٩﴾

نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق؛ وذلك ان رجلا نال منه (سبه)، والنبي صلى الله عليه وسلم
حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه. فقام النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ابو بكر: يا رسول
الله شتمني فلم تقل شيئا حتى اذا رددت عليه قمت. قال: ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه
ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت. فنزلت هذه الاية (لا يحب الله) من عباده (الجهر) التظاهر
(بالسوء) فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات (من القول) لانه في الجهر مفسدتين كبيرتين. احداهما
انه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهرون بالسوء ومن ينسب اليهم هذا السوء.
الثانية ان الجهر بالسوء يذكره على مسامع الناس يؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ضارا
فان الناس يقتدي بعضهم ببعض، او يقلد فاعله السوء في عمله، لان عامة الناس
يقلدون خواصهم فاذا ظهرت المنكرات في الخواص لا تلبث ان تفشو في العوام: فسماع
السوء كعمل السوء. وانا نرى بعض المعلمين يكتبون التعليم ويظهرون غفلا من قول
السوء والكلم الخبيث ومن الرفث واسماع الهجناء التناسل. ونرى من الاباء
والامهات يجهرون بالقول السوء لدى اولادهم وصبيانهم فيسمعونه من افواههم: رب
كلمة خبيثة تفتح لمن تعلق بفيه بابا من الفساد، لا ينجو من شره ابد الآباد. وفي الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى فيها بأسا يهوي بها
سبعين خريفا من النار» رواه الترمذي. (الا من ظلم) فله ان يجهر بذلك ويظهر ظلامته والتعدي
عليه بان يخبر من ظلم ظالمه ويدعو عليه، بان يقول سرق مالي اغتصبه او سبني ويدعو عليه
وعاء جائزا بان يكون بقدر ظلمه، فلا يدعو عليه بخراب دياره ولا بسب والده وان كان هو فعل
ذلك، وان ترك الدعاء فهو اولى (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم. (ان تبدوا) تظهروا (خيرا)
من اعمال طاعة (او تخفوه) تسروه (او تعفوا عن سوء) وتظلم وقع عليكم ولكم المؤاخذة
عليه (فان الله كان عفوا) عن العباد المسيئين في معاملته (قديرا) على العقوبة ومع ذلك
يعفو ... هذا بيان لمعاملة الخلق بعضهم مع بعض فانها اما بجلب منفعة او نفع وهو ابداء
الخير ومن بواعث الابداء قصد الاقتداء. واما قصد الستر والترفع العمل، ومن بواعث الاخفاء تضن
الستر وحفظ كرامة من يوجه اليه الخير كالصدقة على الفقراء المتعففين، او بدفع ضرر وهو العفو عن
السوء هذه الثلاثة ذكرها في حيز الشرط، واظهر جزاء الثالث والاولان توطئة له.

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ١٥٠ أولئك هم المؤمنون حقا واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا ١٥١ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم
وكان الله غفورا رحيما ١٥٢

(ان الذين يكفرون بالله) ويشركون له باثبات الوجود لغيره وجودا ذاتيا ويجعلون له ندا
(ورسله) فيكذبونهم مع كونهم مبعوثين على الحق لتبيين الحق بالحق من عند الحق
(ويريدون ان يفرقوا) في الايمان (بين) الله (اى بين الايمان بالله (ورسله) وبين
الايمان برسله - بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله لانهم ينكرون الوحي وينكرون دين الله
الذى اتى به الرسل اليهم وانما يصدقون ما تصدق اهواؤهم او عادات اسلافهم -
والكل كفار لهذا العصر من هذا الفريق (ويقولون نؤمن ببعض) من الرسل والانبياء (ونكفر
ببعض) منهم - كقول اليهود نؤمن بموسى ونكفر بعيسى ومحمد (ويريدون) ويحبون (ان
يتخذوا بين ذلك) اى الايمان والكفر (سبيلا) طريقا وسطا بين طريقي الايمان بالله ان يتخذوا لهم
دينا ومذهبا واسطة بين الايمان والكفر. فايمان بالله لابد له من الايمان بالرسل وتصديقهم
فيما بلغوا (اولئك) المفرقون بين الايمان بالله والايمان برسله (هم الكافرون) قد تحققوا
بالكفر (حقا) يقينا. (واعتدنا) واعددنا (للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة فيه المذلة
والفضيحة. ان من يؤمن بالله بانه خالق العالم ولا يؤمن بوحيه الى رسله لا يكون
ايمانه صحيحا ولا يهتدي الى ما يجب له من الشكر سبيلا. (والذين آمنوا بالله)
ايمانا صحيحا ولم يشركوا به (ورسله) وبرسله بانهم كلهم مرسلون من عند الله عز
وجل (ولم يفرقوا بين احد منهم) بالايمان ببعض بل آمنوا بالجميع وان كانوا لا يلتزمون
العمل الا بشريعة الاخير منهم وان شريعته ينسخ ما قبله (اولئك سوف يؤتيهم)
قرأ عاصم جحفص عن عاصم ويعقوب عن قالون بالياء والضمير لله والباقون بنون العظمة
التفاتا. اى يعطيهم (اجورهم) الجزاء الجميل بحسب حالهم في العمل. (وكان الله غفورا)
يغفر للمؤمنين من صح ايمانه ولم يفرق بين احد من رسله (رحيما) يرحمهم ويعاملهم
بالاحسان لا بمحض العدل. يختص برحمته من يشاء - ورحمته وسعت كل شئ -
فهو ذو الفضل العظيم.

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا
أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا
لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا

روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى به موسى بالتوراة.
واخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال جاء ناس من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ان موسى جاءنا بالالواح من عند الله فأتنا بالالواح حتى نصدقك، فانزل الله (يسألك) يا محمد (اهل الكتاب) اى اليهود سؤال تعنت (ان تنزل عليهم) جملة واحدة (كتابا) محررا (من السماء) كما نزلت التوراة على موسى كذلك: فلا تعجب يا محمد اقتراحهم ولا تستكبره عليهم (فقد سألوا) اى آباءهم (موسى) من قبل (اكبر من ذلك) الامر الذى سألوك (فقالوا) لموسى (ارنا الله جهرة) وكان الذين طلبوا سبعين رجلا من بنى اسرائيل، ذكر الله شأنهم فى قوله: واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فاخذتهم الصاعقة) النار النازلة من جو السماء تشتعل باتحاد الكهربائية فدمرتهم واهلكتهم (بظلمهم) لانفسهم حيث تعنتوا فى السؤال شبه ارادتهم بانفسهم. (ثم اتخذوا العجل) الذى صنعه السامرى من ذهب حليا فعبدوه وتركوا عبادة الله (من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات الباهرات على يد موسى المثبتة للتوحيد المنفية للشرك. (فعفونا عن ذلك) بعد ان قدنا ابراءنا اجمعوا الذى عملوه باتخاذ العجل. (وآتينا موسى سلطانا) سلطة ظاهرة وحجة واضحة (مبينا) بينا على صدقه. حيث امرهم بقتل انفسهم فاطاعوه حتى قتل منهم سبعون الفا فى يوم واحد (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل المسمى بالطور فوق رؤسهم (بميثاقهم) لما لم يقبلوا التوراة فقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب) باب القرية قيل هى مدينة ايليا بيت المقدس (وقلنا لهم لا تعدوا) لا تعتدوا (فى السبت) لا تعملوا فيه بالصيد الذى حرم عليكم. لا صيد لكم ولا غيره فاصطادوا فيه. فخالفوا فى السبت من اصطياد الحيتان يوم السبت وخالفوا فى دخول الباب سجدا (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا عدة مواثيق منها البشارة بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

فبما نقضهم ميثاقهم ولكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ١٥٥ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ١٥٦
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا
بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ١٥٨

(فبما نقضهم) ما زائدة او نكرة موصوفة مجرور بالباء. اى فبسبب نقض اهل الكتاب (ميثاقهم) الذى واثقهم الله ان تمسكوا فتله واعملوا ما حرمه وحرموا ما احله (وكفرهم بآيات الله) اى وبسبب كفرهم بالقرآن او بكتابهم وبآيات الله التى ارادهم منها ما لم يره سواهم (وقتلهم الانبياء) وبسبب قتلهم الانبياء الذين بعثوا لهدايتهم (بغير حق) يوجب القتل كزكريا ويحيى (وقولهم) وبسبب قولهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (قلوبنا غلف) مغطاة عليها غلاف يمنع نفوذ الشيء اليه فهى لا تعى ما تقول، وغير ذلك من سيئاتهم. فبسبب هذا كله لعناهم. قال تعالى مصرحا به فى سورة المائدة «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم» (بل طبع الله بكفرهم) هذا اضراب عن الكلام المتقدم. اى ليس كذلك بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم الشديد واخلاقهم واعمالهم القبيحة (فلا يؤمنون) منهم (الا قليلا) كعبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم معه. (وبكفرهم) بعيسى (وقولهم) وافترائهم (على مريم) ورميهم اياها بالزنا (بهتانا عظيما) حين قالوا لها: لقد جئت شيئا فريا» (وقولهم) وبسبب قولهم مفتخرين: (انا قتلنا المسيح بن مريم) وصلبناه (رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى وصدقهم النصارى على ذلك. فكذبهم الله قائلا (وما قتلوه) كما زعموا (وما صلبوه) كما ادعوا بل هو حى مرفوع فى السماء (ولكن شبه لهم) برجل القى الله عليه شبهه فقتلوه ظنا منهم انه هو وليس هو. (وان الذين اختلفوا) منهم (فيه) فى عيسى (لفى شك منه) لفى حيرة وتردد من حقيقة امره (ما لهم به من علم) ثابت محقق (الا اتباع الظن) الفاسد (وما قتلوه يقينا) لانهم لا يعرفونه حق المعرفة (بل رفعه الله اليه) ورقاه الى موضع فى السماء الثانية (وكان الله عزيزا) كمال القدرة (حكيما) كمال العلم

وَاِنْ مِّنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ ... ١٥٩ فَبِظُلْمٍ
مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا ١٦٠ وَّاَخْذِهِمُ
الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۭ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ١٦١

(وان) نافية - وما من احد (من اهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى بل اهل
الملل جميعا (الا) والله (ليؤمنن به) بعيسى (قبل موته) ذهب جماعة من اهل
التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى. وهو رواية عن ابن عباس. والمعنى وما من
احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موته - اى موت عيسى. وذلك
عند نزوله من السماء فى آخر الزمان. فلا يبقى احد من اهل الكتابى الا آمن بعيسى
حتى يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ففى الحديث انه صلى الله عليه
وسلم قال: "ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من
الدنيا وما فيها - ثم يقول ابو هريرة: اقرؤا ان شئتم - وان من اهل الكتاب الا
ليؤمنن به قبل موته" رواه البخارى ومسلم. تاج التفاسير - (ويوم القيامة يكون)
عيسى (عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى باعتقادهم فيه
انه ابن الله - (فبظلم) صادر (من الذين هادوا) اى اليهود (حرمنا عليهم طيبات)
كانت (احلت لهم) كما فى سورة الانعام: ١٤٧ - وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر - ما له
اصبع كالابل والنعام والطير.. - ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما -
الثروب وشحم الكلى - الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم. (وبصدهم) الناس (عن
سبيل الله) امرا - خلقا (كثيرا) وبسبب (اخذهم الربا وقد نهوا عنه) على السنة انبيائهم
وبسبب (اكلهم اموال الناس) بينهم (بالباطل) كالرشوة والخيانة وغير ذلك فان من اخذ
من مال اخيه شيئا بغير مقابل فقد اكله بالباطل.

(واعتدنا) اعددنا (للكافرين منهم) على كفرهم (عذابا اليما) دون من تاب وآمن منهم.

لكن الر[illegible] يعلم ينفعهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك
سنؤتيهم اجرا عظيما ١٦٢

بمـ بلكن تفيد الاستدراك على قوله واعتدنا للكافرين الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم. روى ابن اسحق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس انه قال في الاية: نزلت في عبد الله بن سلام واسيد بن ربيعة وثعلبة بن سعية حين قالوا يهود واسلموا (لكن الراسخون) الثابتون البالغون الحقيقة (في العلم) العاضون بالدين (منهم) من اليهود المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كالجملة (والمؤمنون) من المهاجرين والانصار من امنك ايها الرسول ومن عداهم ايمان اذعان يبعث على العمل لا ايمان دعوى وعصبية وجدل. كل منهم (يؤمنون) بك و(بما انزل اليك) من الاحكام والبينات والهدى في القرآن (وما انزل من قبلك) على موسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم السلام، لا يفرقون بين الله ورسله بالهوى والعصبية. الراسخون منهم مبتدأ. والمؤمنون معطوف عليه بحذف الغاية ويؤمنون خبر المبتدأ (والمقيمين الصلوة) منصوب على الاختصاص والمدح والتقدير اعني او اخص او امدح المقيمين الصلوة لانهم الذين يؤدونها على وجه الكمال فانهم احمز المؤمنين بالرسوخ في الايمان. وقيل: المقيمين معطوف على ما انزل من قبلك من الرسل وبالمقيمين الصلوة. وهم الانبياء. وترك بالرفع كما في مصحف عبد الله بن مسعود "والمقيمون الصلوة" معطوف على الراسخون. (والمؤتون الزكوة) على حقيقتها لاستحقها معطوف على المؤمنون. (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) فيعلمون له. يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك. واكتفى من بين ذكر الشرائع والاحكام بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تمثيلا لحيازتهم الايمان بتطريه واحاطتهم به من طرفيه (اولئك) الموصوفون بما ذكر كله (سنؤتيهم) سنعطيهم في الاخرة (اجرا عظيما) لا يدرك كنهه في الدنيا احد منهم

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم
وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن
وآتينا داود زبورا ﴿١٦٣﴾ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما ﴿١٦٤﴾

روى ابن اسحق عن ابن عباس قال: قال محمد بن كعب: لما علم ان الله انزل على بشر من بعد موسى فانزل الله (انا اوحينا اليك) يا محمد هذا القرآن (كما اوحينا الى نوح) الذى اقدم نبى مرسل مذكور فى كتب اهل الكتاب. قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم: اول نبى ارسل نوح. رواه ابن عساكر عن انس ج. (والنبيين من بعده) جاؤا بعد نوح (واوحينا الى ابرهيم) الخليل المجمع على فضله ونبوته عند اهل الكتاب كلهم وعند العرب ايضا. (واسمعيل) ابن ابراهيم من هاجر (واسحق) اخوه من سيدتنا سارة بعث بعد اخيه اسماعيل. (ويعقوب) هو ابن اسحق واشهر بلقب اسرائيل. وبعث بعد ابيه اسحق (والاسباط) جمع سبط. وهو يطلق على ولد الولد. فكل نسل ولد من اولاد يعقوب يسمى سبطا (وعيسى) المسيح ابن مريم (وايوب) الصابر على البلاء وهو ابن اموص من سبط عيص بن اسحق (ويونس) هو يونس بن متى (وهرون) النبى الحليم (وسليمن) بن داود (وآتينا داود زبورا) هو اسم الكتاب الذى انزل عليه وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ (ورسلا قد قصصناهم عليك) وعينا لك فى القرآن باسمائهم (من قبل) تنزيل هذه الاية. (ورسلا لم نقصصهم عليك) لم نذكرهم لك فى القرآن باسمائهم. وما روى من عددهم من الالاف والمائات فغير مشهور بل خلاف المشهور. واحسبنا العلم بان الله ارسل فى كل الامم فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة فى شعب معين. قال تعالى: «ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» النحل: ٣٦. وقال: «انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير» فاطر: ٢٤. (وكلم الله موسى تكليما) اى ازال عنه الحجاب حتى سمع الصوت القائم بذاته تعالى. وتكليم الله للرسل اما وحيا او من وراء حجاب او بارسال الرسل. قال الله تعالى: «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء» الشورى ١ ه

رسلا مبشرين ... ريين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله
عزيزا حكيما ١٦٥ لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
بالله شهيدا ١٦٦ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ١٦٧
ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ١٦٨ الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ١٦٩

ارسلنا اولئك الرسل (رسلا مبشرين) من آمن وعمل صالحا بالاجر العظيم
(ومنذرين) من كفر واجرم بالعذاب الاليم (لئلا يكون للناس على الله) في ترك التوحيد
والطاعة (بعد) ارسال (الرسل) وانزال الكتب. بانه يدعوا انهم ما كفروا واجرموا
الا بحجة لهم. قال تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» اسرائيل: ١٥ (وكان الله عزيزا)
فيما يريد (حكيما) فيما يدبر. لما نزل آية «انا اوحينا اليك» الآية. قالوا ما نشهد لك بهذا ابدا.
فنزلت (لكن الله يشهد) يعني «وان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد، لكن
الله يشهد لك (بما انزله اليك) بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك
(انزله بعلمه) اي متلبسا بعلمه الخاص به مشتمل على ما يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فهو ناطق من العلوم الالهية والادبية والسياسية والعقائدية والاجتماعية ومن علوم
الانبياء والرسل والامم وغير ذلك (والملائكة يشهدون) بنبوتك (وكفى بالله شهيدا)
بما اقام من الحجج على صحة نبوتك. (ان الذين كفروا وصدوا) واعرضوا (عن سبيل الله)
طريق الحق دين الاسلام بكتمهم عن دينه الحق القويم واخفائهم وصف النبي صلى الله عليه
وسلم (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لا يجتمع من بعده على الهدى. (ان الذين
كفروا) بالله (وظلموا) نبيه بكتمان نعته واخفاء سنته وهم اليهود (لم يكن الله ليغفر
لهم) اي ليس من شأنه عز وجل ان يغفر لهم ما ارتكبوه اذا ماتوا على الشرك. لقوله تعالى
«ان الله لا يغفر ان يشرك به (ولا ليهديهم طريقا) من الطرق يوصلهم الى طريق من
طرق الجزاء وهي الاعمال الصالحة. (الا طريق جهنم) السبيل الموصل اليها وهو الاعمال السيئة
المؤدية بهم الى جهنم (خالدين فيها) اذا دخلوها ريد وقوع عذابها المخلود الدائم الذي
لا نهاية له (ابدا) لا يخرجون بحرى حكمه السابق على ان من مات على كفره فهو خالد في النار ابدا.
(وكان ذلك على الله يسيرا) لا يصعب عليه ولا يستعظمه.

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما
في السموات والارض ط وكان الله عليما حكيما ١٧٠ يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق ط انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح
منه ط فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة ط انتهوا خيرا لكم ط انما الله اله واحد ط سبحانه
ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض ط وكفى بالله وكيلا ١٧١

لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة
بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فقال: (يا ايها الناس) الخطاب لاهل
مكة نظرا الغالب من ان يا ايها الناس خطاب لاهل مكة . ويا ايها الذين امنوا خطاب
لاهل المدينة . الان العبرة بمفهوم اللفظ وعلى هذا دعا الله تعالى بهذه الاية جميع الناس
في سياق خطاب اهل الكتاب (قد جاءكم الرسول) محمد (بالحق) بالقرآن (من ربكم) الذي هو
ابلغ بيان الحق جاء به بعد تربية المؤمنين وتكميل فطرتهم (فامنوا به) فان تؤمنوا
يكن الايمان (خيرا لكم) مما انتم فيه (وان تكفروا) به (فان لله ما في السموات والارض ملكا وخلقا
وكل يعبده طوعا او كرها (وكان الله عليما) فيما دبره لكم (حكيما) بكل نفس بما تسعى فطوبى
لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. — ونزلت في محاجة النصارى بعد محاجة
اليهود (يا اهل الكتاب) الانجيل (لا تغلوا) لا تتجاوزوا الحدود التي حدها الله لكم
(في دينكم) فان الزيادة في الدين كالنقص منه (ولا تقولوا على الله الا الحق) اي الثابت
المتحقق قال صلى الله عليه وسلم: اياكم والغلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو
في الدين. اخرجه احمد والنسائي عن ابن عباس بسند صحيح. (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) عبده
ورسوله ارسله اليكم (كلمته القاها الى مريم وروح منه) من الله وهو جبريل عليه السلام.
(فامنوا بالله ورسله) كلهم (ولا تقولوا) الآلهة (ثلاثة) الاب والابن وروح القدس
— او الله وعيسى وامه (انتهوا) عن الذي ابتدعتموه يكن (خيرا لكم) من ابتداعكم لهذا
واعتقادكم (انما الله اله واحد) فوحدوه (سبحانه ان يكون له ولد) بل هو الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا
وعبيدا. «ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا» مريم ٩٣ — لا تفرق
في هذا بين الملائكة المقربين والنبيين الصالحين (وكفى بالله وكيلا) لمن عرفه.

لن يستنكف ... ن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ﴿١٧٢﴾ فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا ﴿١٧٣﴾

ان وفد نجران قالوا: يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبد الله. فنزلت (لن يستنكف) اي لن الاستنكاف الامتناع عن الشئ والانفة والرفع. والمعنى - لن يأنف (المسيح) الذي ينسبتم اليه الالوهية ولا يترفع ان يكون (عبدا لله) بل العبودية شرف له لانه من اعلم خلق الله بعظمة الله (ولا الملائكة المقربون) يستنكفون من العبودية بل هي اعظم مقاصد كل المقربين من الملائكة والرسل والنبيين والاولياء (ومن يستنكف) يأنف ويترفع (عن عبادته) انفة وعن التحلي بها (ويستكبر) ويجعل نفسه كبيرة ويترفع فوق ما هي عليه غرورا واعجابا. فيحملها ذلك على غمط الحق سواء كان لله او لخلقه وعلى بطر الناس (فسيحشرهم) الله (اليه جميعا) في الآخرة للجزاء مجتمعين مع غيرهم لان الله يحشر الخلق كلهم في صعيد واحد. (فاما الذين امنوا) بالله واعطوا الايمان حقه (وعملوا الاعمال الصالحات) لوجه الكريم (فيوفيهم اجورهم) على ايمانهم الجزاء الحسن على اعمالهم (ويزيدهم من فضله) وجوده من عشرة اضعاف الى سبع مائة ضعف الى ما شاء الله (واما الذين استنكفوا) انفوا (واستكبروا) وتعظموا عن عبادته (فيعذبهم) الله (عذابا اليما) كما يستحقون بحسب سنته تعالى. ولكن لا يزيدهم على ما يستحقون شيئا. فهو تعالى يجازي المحسن بالعدل والفضل من انواع النعيم العظام ويجازي المسئ بالعدل فقط (ولا يجدون لهم) يلقون لهم (من دون الله وليا) يدفع عنهم ذلك العذاب (ولا نصيرا) ينصرهم مما هنالك

قال قوم: الدين والدنيا في ثلاث العلم والادب والمبادرة. وهلاك الدين والدنيا في ثلاث - الجهل والحرق والكسل. وقال: اربع من دعائم الدين - القيام بالحق على نفسك وغيرها، والتعود عن باطل نفسك وغيرها. والمودة لاهل طاعة الله والبغض لاهل معصيته،

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا فأما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه
صراطا مستقيما ١٧٥ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك
ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد
فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ١٧٦

يا أيها الناس قد جاءكم برهان) عظيم (من) قبل (ربكم) يبين لكم حقيقة إيمانكم
الصحيح بالله وهو محمد العربي الأمي (وأنزلنا إليكم) لهدايتكم (نورا) كتابا (مبينا)
بينا وهو القرآن. (فأما الذين آمنوا بالله) ولم يجعلوا له شريكا (واعتصموا
به) عمن سواه (فسيدخلهم في رحمة) ونعمة (منه) لا حصر لها (وفضل)
زيادة على ما وجبوه أولا وهو كناية عن ترقي أذكياؤهم رحمة للناس بعلومهم
وأعمالهم. (ويهديهم) الله تعالى في الدنيا هداية موصلة (إليه صراطا مستقيما) قويما
وهو الإسلام الموصل إلى الدرجات العلى — روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن
الأربعة وغيرهم عن جابر بن عبد الله قال: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وأنا موعوك لا أعقل فتوضأ ثم صب وضوءه عليّ فعقلت لا يرثني إلا
كلالة فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض. (يستفتونك) أي يطلبون منك
يا محمد الفتيا فيمن يورث كلالة كما جرى لجابر بن عبد الله الذي ليس له والد ولا ولد (قل الله
يفتيكم في الكلالة) التي سألتموها عنها (إن امرؤ هلك) ومات (ليس له ولد) ولا ليس
له والد (وله أخت) من أبوين أو من أب (فلها نصف ما ترك) من التركة (وهو يرثها جميع ما
تركت إذا ماتت (إن لم يكن لها ولد) ذكرا أو أنثى ولا والد يحجبه من إرثها. فإن لها ولد فلا
يأخذ شيئا. فإن كانت أنثى فله من التركة ما فضل من نصيبها (فإن كانتا اثنتين) أي إن كان
لها أختان أو أكثر فلهما الثلثان مما ترك أخوها. وكذا إن كن أكثر من اثنتين بالأولى كأخوة
جابر وكن سبعا أو تسعا. والباقي للعصبة إن لم يكن هناك من أصحاب الفروض (وإن كانوا)
ممن يرثون (إخوة رجالا ونساء) أشقاء أو لأب (فللذكر مثل حظ الأنثيين) على القاعدة
الا أولاد الأم فإنهم شركاء في الثلث نصيب أمهم لحلولهم محل الأم ولولا ذلك لم يرثوا =

لانهم ليسوا من ... ة الميت، (يبين الله لكم) امور دينكم واحكامه، كراهة (ان تضلوا)
وقيل لئلا تضلوا، فحذف لا - وهو قول الكوفيين. اه بيضاوى. (والله بكل شيء عليم)
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات.

قال مؤلفه: فرغت من تاليف هذا التفسير (تفسير سورة النساء) عصر
يوم الجمعة ٦ ذ القعدة لسنة ١٣٨٠ = ٢١ ابريل لسنة ١٩٦١م
بيد عبد اللطيف الشكور بالى كوره ٢٧ الفكت

تمت ربا ح رجبا بالى كوره دالم ورد ١٣ ذى القعدة ١٣٨٠

416

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

Cm 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
QP Card 101 v4

تفسير سورة
النساء
الجزء
٤ - ٥ - ٦
١٥ قعدة ١٣٧٩
احمد عبد العزيز

سيرة باتناق الا

سورة ا

يا أيها النا
رجالا كثير

(يا ايها النا
ومن سينف
آخر الأمة مكا
النفس عما
الصغائر
يقول: ((
استبرأ لد
فيه الا و
صلح الجس
من نفس و
آدم وحو
الامتثال
تتساءلو
اسألك با
وصلة الا
وصل تقو
بالاحسا
بين العار
فلو كان لم
كبيرة باتفا